المغني في التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سورةُ النَّملِ

(المجلَّدُ الثَّاني والعشرون)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

تَفْسِيرُ
سُورَةِ النَّملِ

سُورةُ النَّملِ

سورةُ النَّملِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ سُورةَ (النَّملِ).[1]

سورةُ النَّملِ مكِّيَّةٌ، ونقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرينَ.[2]

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الحديثُ عن أدلَّةِ وحدانيَّةِ الله تعالى وقدرتِه، وعن مظاهرِ فضلِه تعالى على عبادِه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ التي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- الإشارةُ والتنبيهُ إلى إعجازِ القُرآنِ الكريمِ، ببلاغةِ نَظمِه وعلوِّ معانيه؛ وعِظَمِ شأنِه.

---

(1) سُمِّيت هذه السورةُ بسورةِ (النَّملِ)؛ ووجهُ التسميةِ بذلك أنَّ لفظَ النَّملِ لم يُذكَرْ في سورةٍ مِنَ القرآنِ غيرِها.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (348/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (215/19).
وقد ورَدت بعضُ الآثارِ عن الصحابةِ فيها تسميتُها بهذا الاسمِ.
يُنظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (340/6).

(2) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: القرطبي، وأبو حيان، والفيروزابادي، والبِقاعيُّ، وابن عاشور.
يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (154/13)، ((تفسير أبي حيان)) (206/8)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (348/1)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (332/2)، ((تفسير ابن عاشور)) (215/19).

2- بيانُ صفاتِ المؤمنينَ وجزائِهم، وصفاتِ الخاسرينَ وجزائِهم.

3- ذِكرُ شَيءٍ من قِصَّةِ موسى عليه السَّلامُ.

4- ذِكرُ قِصَّةِ سُليمانَ عليه السَّلامُ مع النَّملةِ، ومع الهُدهدِ، ومع ملكةِ سَبأٍ وقَومِها.

5- ذِكرُ قِصَّةِ صالحٍ عليه السَّلامُ مع قَومِه.

6- ذِكرُ قِصَّة لوطٍ عليه السَّلامُ مع قَومِه.

7- بيانُ البراهينِ الدالَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ، وإبطالُ دينِ المشركين وعبادتِهم لغيرِ الله، وإثباتُ البَعثِ.

8- إخبارُ القُرآنِ الكريمِ عن أنباءِ السَّابقين، وأنَّه مُهيمِنٌ على الكتُبِ السَّابقةِ.

9- خَتْمُ السُّورةِ بذِكرِ بعضِ أشراطِ الساعةِ، وبَعضِ مشاهِدِ القيامةِ، وما يَنتظِرُ المكَذِّبين بالسَّاعةِ في ذلك اليومِ العظيمِ.

سورةُ النَّملِ

الآيات (1–6)

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6)

غَريبُ الكَلِماتِ:

زَيَّنَّا: أي: حَسَّنَّا، وأصلُ (زين): يدُلُّ على حُسنِ الشَّيءِ وتَحسينِه.

يَعْمَهُونَ: أي: يَتمادَونَ، ويَتردَّدونَ متحَيِّرينَ، وأصلُ (عمه): يدُلُّ على حَيرةٍ وتردُّدٍ.

لَتُلَقَّى: أي: تأخُذُ وتتلَقَّنُ، والإلقاءُ: طَرحُ الشَّيءِ حيثُ تَلْقاه، أي: تراه، ثمَّ صار اسمًا لكلِّ طرحٍ، وأصلُ (لقي) هنا: يدُلُّ على طرحِ شَيءٍ.

لَدُنْ: بمعنى: عِندَ، وهو أبلَغُ مِن عندَ وأخَصُّ.

تَفسيرُ الآياتِ:

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1).

طس.

هذه الحروفُ المقطَّعةُ التي افتُتِحَت بها هذه السُّورةُ وغيرُها، تأتي لبيانِ إعجازِ القرآنِ؛ حيثُ تُظهِرُ عجْزَ الخَلْقِ عن معارَضتِه بمِثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ مِن هذه الحروفِ العربيَّةِ التي يَتحدَّثونَ بها.

تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ.

أي: تلك[3] الآياتُ العَظيمةُ العاليةُ المقامِ: آياتُ القُرآنِ وكِتابٍ واضحٍ صِدقُه، وأنَّه مِن عندِ اللهِ، ومُظهِرٍ الحقَّ ببَيانِه.[4]

---

(3) قيل: المشارُ إليه جميعُ القرآن.

وممَّن قال بذلك: الزَّجَّاجُ، والواحديُّ.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (4/107)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 799).

قال الزجاج: (معنى تِلْكَ أنَّهم كانوا وُعِدوا بالقرآنِ في كتبِهم، فقيل لهم هَذِه «تلك» الآياتُ التي وُعِدتُم بها).

((معاني القرآن وإعرابه)) (4/107).

وقيل: المشارُ إليه سورةُ النمل.

وممَّن قال بذلك: القرطبي، والشوكاني، والألوسي، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (13/154)، ((تفسير الشوكاني)) (4/144)، ((تفسير الألوسي)) (10/151)، ((تفسير القاسمي)) (7/484).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 11).

وقال الزمخشري: (وتِلْكَ إشارةٌ إلى آياتِ السورةِ، والكتابُ المبينُ: إمَّا اللَّوحُ، وإبانتُه: أنَّه قد خُطَّ فيه كُلُّ ما هو كائنٌ، فهو يبيِّنُه للناظرين فيه إبانةً.

وإمَّا السُّورةُ.

وإمَّا القرآنُ).

((تفسير الزمخشري)) (3/346).

ويُنظر: ((تفسير الرازي)) (24/540).

(4) ذكر ابنُ عثيمينَ أنَّ كلمةَ مُبِينٍ يجوزُ أن تكونَ مِن (أبان) اللازمِ بمعنى (بان)، ومِن (أبان) المتعدِّي بمعنى (أظهر) وأنَّ هذا مِن المشتركِ المستعمَلِ في معنييه على وجهٍ لا تعارضَ فيه، قال: (فالقرآنُ بيِّنٌ والقرآنُ أيضًا مظهِرٌ.

وعلى هذا التفسيرِ تكونُ دلالةُ مُبِينٍ على أنَّ القرآنَ بيِّنٌ دلالةَ مطابقةٍ، يعني: إذا جعَلْنا مُبِينٍ مستعملةً في المعنيينِ فالدلالةُ مطابقةٌ، لكن لو قلنا: إنَّ «مُبِينٍ» بمعنى: مظهِرٍ فدلالتُه على كونِه بيِّنًا مِن بابِ دلالةِ الالتزامِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 12).

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2).

أي: هُدًى[5] للمُؤمنينَ يَهديهم إلى الطَّريقِ المُستقيم، وهو بِشارةٌ لهم بالخَيرِ والثَّوابِ في الدُّنيا والآخرةِ.

كما قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المائدة: 15، 16].

وقال سُبحانَه: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل: 89].

وقال جلَّ ثناؤه: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ [فصلت: 44].

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3).

---

(5) وهُدًى وَبُشْـرَى قيل: هما حالانِ مِنَ الآياتِ أو مِنَ الكتابِ، أي: تلك آياتٌ هاديةٌ ومبشِّـرةٌ، ويجوزُ أنْ يكونَ في محلِّ رفعٍ على الابتداءِ، أي: هو هُدًى، أو هما خبرانِ آخرانِ لـ تِلْكَ، أو هما مصدرانِ منصوبانِ بفعلٍ مُقَدَّرٍ، أي: يَهدي هدًى ويُبشِّرُ بُشْرَى.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (145/4).

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.

أي: إنَّ القرآنَ هُدًى وبُشرَى للمُؤمِنينَ الذين يُحافِظونَ على أداءِ الصَّلَواتِ[6] بأركانِها وشُروطِها وحُدودِها.[7]

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.

أي: ويُعطُونَ الزَّكاةَ المفروضةَ[8] عليهم مُستحقِّيها.[9]

---

(6) قيل: المرادُ بها: الصلاةُ المفروضةُ.
وممَّن ذهب إلى ذلك: مقاتلُ بن سليمان، ويحيى بن سلام، وابن جرير، وابن كثير.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/296)، ((تفسير يحيى ابن سلام)) (2/532)، ((تفسير ابن جرير)) (18/6)، ((تفسير ابن كثير)) (6/178).
وقيل: الصلاةُ هنا تشمَلُ الفرائضَ والنوافِلَ.
وممَّن قال بذلك: السعدي، وابن عثيمين.
يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 601)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 21).
(7) قال البقاعي: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ أي: بجميعِ حُدودِها الظَّاهرةِ والباطِنةِ؛ مِن المواقيتِ، والطَّهاراتِ، والشُّروطِ والأركانِ، والخُشوعِ والخُضوعِ، والمراقبةِ والإحسانِ؛ إصلاحًا لِما بيْنَهم وبيْنَ الخالقِ).
((نظم الدرر)) (14/126).
وقال ابنُ عثيمين: (وإقامةُ الصَّلاةِ نوعان: نوعٌ لا بدَّ منه، وهو الإتيانُ بالأركانِ والواجباتِ والشُّروطِ، ونوعٌ يكونُ على وجهِ الكمالِ، وهو الإتيانُ بالمكَمِّلاتِ مِن السُّنَن وغيرِها).
((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 21).
(8) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٥١٥) أن الزَّكاة هنا يحتمل أن تكون غير المفروضة؛ لأن السورة مكية قديمة، ويحتمل أن تكون المفروضة من غير تفسير، ثم ذكر أنه قيل بأن الزَّكاةَ هنا بمعنى: الطهارة مِن النقائص، وملازمة مكارم الأخلاق.
(9) وممن قال بأنَّ المرادَ بالزكاةِ هنا: الصدقةُ المفروضةُ: مقاتل بن سُلَيمان، ويحيى بن سلام، وابن جرير، والسعدي، وابن عثيمين.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سُلَيمان)) (3/296)، ((تفسير يحيى ابن سلام)) (2/532)، ((تفسير ابن جرير)) (18/6)، ((تفسير السعدي)) (ص: 601)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 22).

وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.

أي: وهم يُؤمنونَ إيمانًا يقينيًّا بالدَّارِ الآخرةِ، ووقوعِ البَعثِ والجزاءِ يومَ القيامةِ.(10)

كما قال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [البقرة: 2-4].

قال ابن عطية: (الزكاةُ هنا يحتَمِلُ أن تكونَ غيرَ المفروضةِ؛ لأنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ قديمةٌ، ويحتَمِلُ أن تكونَ المفروضةَ مِن غيرِ تفسيرٍ [أي: مِن غيرِ تفصيلٍ لأحكامِها].

وقيل: الزكاةُ هنا بمعنى الطهارةِ مِن النقائصِ، وملازمةِ مكارمِ الأخلاقِ).

((تفسير ابن عطية)) (4/248).

وقال ابن عثيمين: (السورةُ -كما تقدَّم- مكيَّةٌ، فهل معنى ذلك أنَّ الزكاةَ فُرِضَت بمكَّةَ أو في المدينةِ؟ المعروفُ عندَ أهلِ العلمِ أنَّها فُرِضتْ في المدينةِ، ولكنَّ الصحيحَ أنها فُرِضَت بمكَّةَ، ولكِنْ تقديرُ أنصبائِها وبيانُ الأموالِ على وجهِ التفصيلِ كان ذلك في المدينةِ، هذا هو الصَّحيحُ، وهو الذي به تجتَمِعُ الأدلَّةُ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 22).

(10) قال السعدي: (يقينُهم بالآخرةِ يقتضي كمالَ سَعيِهم لها، وحَذَرَهم من أسبابِ العذابِ ومُوجِباتِ العقابِ، وهذا أصلُ كُلِّ خيرٍ).

((تفسير السعدي)) (ص: 601).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/126، 127).

وقال ابنُ عثيمين: (كُلُّ ما أخبر اللهُ تعالى به ممَّا يكونُ في هذا اليوم، أو أخبَرَ به رسولُه؛ فإنَّه داخِلٌ في الآخرةِ، بل إنَّ شيخَ الإسلامِ رَحِمَه الله يقولُ: إنَّه يدخُلُ في الإيمانِ باليومِ الآخِرِ كُلُّ ما أخبر به النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ممَّا يكونُ بعدَ الموتِ.

فعلى هذا يكونُ المرادُ بالآخرةِ: ما بعْدَ الدُّنيا؛ فتشمَلُ عذابَ القبرِ ونعيمَ القبر، وتشمَلُ كذلك الموازينَ في يوم القيامةِ، والحوضَ المورودَ للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ...).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 24، 25).

ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيميَّة (3/145).

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4).

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ.

أي: إنَّ الذين لا يُؤمنونَ بالدَّارِ الآخرةِ، ووُقوعِ البَعثِ بعْدَ الموتِ، والجزاءِ على الأعمالِ يومَ القيامةِ: حسَّنَّا لهم أعمالَهم السيِّئةَ القبيحةَ، وحبَّبْناها إليهم، وسهَّلْنا عليهم فِعلَها؛ جزاءً لهم على كُفرِهم.(11)

كما قال اللهُ تعالى: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [الكهف: 103– 105].

وقال سُبحانَه: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ [فاطر: 8].

وقال اللهُ جلَّ ثناؤه: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [الليل: 8–10].

فَهُمْ يَعْمَهُونَ.

---

(11) قال ابنُ عطية (٦/ ٥١٥ – ٥١٦): «قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ يحتمل: أنه تعالى حتم عليهم الكفر، وحبّب إليهم الشرك، وزيّنه بأن خلقه واخترعه في نفوسهم، ومع ذلك اكتسابهم وحرصهم على كفرهم، وهذا على أن تكون الأعمال المزينة كفرهم وطغيانهم.

ويحتمل: أن الأعمال المزينة هي الشريعة التي كان الواجب أن تكون أعمالهم، فأخبر الله تعالى على جهة الذِّكر لنقصهم أنه بفضله ونعمته زين الدين وبينه، ورسم الأعمال والتوحيد، لكن هؤلاء ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يُعْرِضون».

أي: فهُم في ضَلالِهم وأعمالِهم الخَبيثةِ القَبيحةِ يَتردَّدُون حائِرينَ، لا يَهتَدونَ للحَقّ.

كما قال اللهُ تعالى: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام: 110].

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [يونس: 11].

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5).

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ.

أي: أولئك لهم أشدُّ العذابِ وأسوَؤُه وأعظمُه.[12]

---

(12) ممن اختار أنَّ المرادَ سوءُ العذابِ في الدُّنيا، وهو القتلُ يومَ بدرٍ: ابنُ جرير، والواحدي، والزمخشري -وزاد على القتلِ الأسْرَ-، وابنُ جُزَي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (7/18)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 799)، ((تفسير الزمخشري)) (348/3)، ((تفسير ابن جزي)) (98/2)، ((تفسير ابن عاشور)) (222/19).

قال ابن عاشور: (والظَّاهرُ أنَّ المرادَ به عذابُ الدُّنيا، وهو عذابُ السَّيفِ وخزيُ الغَلَبِ يومَ بدرٍ وما بعْدَه؛ بقرينةِ عطفِ: وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ).

((تفسير ابن عاشور)) (222/19).

وقال ابنُ جزي: (ويحتملُ أن يريدَ عذابَ الآخرةِ).

((تفسير ابن جزي)) (98/2).

وممن اختار أنَّ المرادَ به: سوءُ العذابِ في الدُّنيا والآخرةِ: أبو حيان، وابنُ كثيرٍ، والبِقاعيُّ، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (209/8)، ((تفسير ابن كثير)) (178/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (127/14)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 33).

وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ.

أي: وهم يومَ القيامةِ المُختَصُّونَ بأنَّهم أشدُّ النَّاسِ خَسارةً؛ لفَواتِ المَثوبةِ، واستِحقاقِ العُقوبةِ باشترائِهم الضَّلالةَ بالهُدى.

كما قال تعالى: فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ [الزمر: 15، 16].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ [الشورى: 44- 46].

ثُمَّ مَهَّد سبحانَه مُقَدِّمةً نافعةً لِمَا سيَذكُرُه بعدَ ذلك مِن الأخبارِ العجيبةِ، فقال:

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6).

أي: وإنَّك لَتَتلقَّى القُرآنَ -يا مُحمَّدُ- فتأخُذُه وتتلقَّنُه وتَعلَمُه بواسطةِ جِبريلَ مِن عندِ مَن له كَمالُ الحِكمةِ في خَلقِه وشَرعِه، فيَضَعُ الأشياءَ في مواضِعِها الصَّحيحةِ اللَّائقةِ بها، ومَن له كَمالُ العِلمِ، فيَعلَمُ أسرارَ الأمورِ وظاهِرَها وباطِنَها، ومصالِحَ عبادِه؛ وإذا كان القرآنُ مِن عندِ الحكيمِ العليمِ عُلِم أنَّه كُلَّه حِكمةٌ وعِلمٌ، وصَلاحٌ للعبادِ في دُنياهم وأُخراهم.

كما قال تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الأنعام: 115].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى [النجم: 4– 10].

سورةُ النَّملِ

الآيات (7–14)

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

آنَسْتُ: أي: أبصَرتُ مِن بعيدٍ، والإيناسُ: الرُّؤيةُ والعِلمُ والإحساسُ بالشَّيءِ.

بِشِهَابٍ قَبَسٍ: أي: بشُعلةِ نارٍ فِي رَأسِ عُودٍ، والقَبَسُ: المتناوَلُ مِن الشُّعلةِ.

تَصْطَلُونَ: أي: تَستَدفِئون، والصَّلا: النَّارُ العظيمةُ، والصِّلاءُ: ما يُصطَلى به، وأصلُ (صَلَى) هنا: النَّارُ.

جَانٌّ: جِنسٌ مِن الحيَّاتِ خَفيفٌ سَريعٌ، وسمِّيت الحيةُ بذلك تشبيهًا لها بالواحدِ مِنَ الجانِّ، وأصلُ (جنن): السَّترُ والتَّستُّرُ.

وَلَّى مُدْبِرًا: أي: جرَى هارِبًا، والإدبارُ: الذَّهابُ إلى جِهةِ الخَلفِ.

يُعَقِّبْ: أي: يَرجِعْ، وأصلُ (عقب): يدُلُّ على تأخيرِ شَيءٍ، وإتيانِه بعْدَ غيرِه.

جَيْبِكَ: أي: طَوقِ قميصِك، وهو مدخَلُ الرأسِ منه المفتوحُ إلى الصَّدرِ، وهو مِن الجَوْبِ: وهو القَطْعُ.

سُوءٍ: أي: عَيبٍ أو آفةٍ، وفُسِّرَ بالبَرَصِ، والسُّوءُ: كلُّ ما يَغمُّ الإنسانَ.

مُبْصِرَةً: أي: بَيِّنةً، واضِحةَ الدَّلالةِ، وأصلُ البصَرِ: العِلمُ بالشَّيءِ.

وَاسْتَيْقَنَتْهَا: أي: تيقَّنَتْها، مِن اليَقينِ، وهو أبلَغُ عِلمٍ وأوكَدُه، وأصلُه: يدُلُّ على زَوالِ الشَّكِّ.

وَعُلُوًّا: أي: تكبُّرًا واستِعلاءً، وأصلُه: يدُلُّ على السُّموِّ والارتفاعِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7).

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا.

أي: اذكُرْ –يا محمَّدُ– حين قال موسَى لأهلِه –وهو مسافِرٌ مِن مَدْيَنَ إلى مِصرَ في لَيلةٍ مُظلِمةٍ باردةٍ: إني أبصَرْتُ نارًا.

سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ.

أي: سآتيكم مِنَ النَّارِ بخبَرٍ.

أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ.

أي: أو أجيئُكم بشُعلةٍ أقتَبِسُها مِن تلك النَّارِ؛ كي تستَدفِئوا بها مِن البَرَدِ.(13)

---

(13) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٥١٨) أن أصل «الشهاب»: الكوكب المنقض في أثر مسترق السمع.
وأن كل مَن يُقال له: شهاب –من المنيرات–؛ فعلى التشبيه.
ونقل أنّ الزجاج قال: كل أبيض ذي نور فهو شهاب.
وانتقده بقوله: و«كلامه معترَض».
ولم يذكر مستندًا.

كما قال تعالى: فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ [القصص: 29].

وقال سُبحانه: إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى [طه: 10].

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8).

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا.

أي: فلمَّا جاء مُوسى إلى النَّارِ(14) ناداه الله تعالى بأنْ بُورِكَ(15) مَنْ في تلكَ النَّارِ، (16) وبُورِكَ مَنْ حَوْلَها. (17)

---

(14) والمرادُ بالنَّارِ: النُّورُ، وممَّن قال بذلك: يحيى بن سلام، وابن عطية، والقرطبي، والبِقاعي، والعُلَيْمي، وجعله الواحديُّ مذهبَ المفسِّرين، ونسَبَه البَغَويُّ لأكثرِهم.

يُنظر: ((تفسير يحيى ابن سلام)) (533/2)، ((تفسير ابن عطية)) (249/4)، ((تفسير القرطبي)) (157/13، 159)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (132/14)، ((تفسير العليمي)) (114/5)، ((الوسيط)) للواحدي (369/3)، ((تفسير البغوي)) (490/3).

وممَّن قال مِن السَّلفِ أنَّ المرادَ بالنَّارِ النُّورُ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، وسعيدُ بن جُبَيرٍ في رواية، وعِكْرِمةُ، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/18)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2845/9)، ((تفسير ابن الجوزي)) (353/3).

قال الواحدي: (مذهبُ المفسِّرينَ أنَّ المرادَ بالنَّارِ هو النورُ، وذلك أنَّ موسى رأى نورًا عظيمًا فظنَّه نارًا؛ لذلك ذُكِر بلفظِ النَّارِ). ((الوسيط)) (369/3).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير القرطبي)) (159/13).

قالوا: لأنَّ النَّارَ لا تخلُو من النُّورِ، والعربُ تضعُ أحدَهما موضِعَ الآخَرِ.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (189/7)، ((تفسير السمعاني)) (78/4).

والمرادُ بالنُّور هو حِجابُ النُّورِ؛ فعن أبي عُبَيْدةَ، عن أبي موسى رضيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يَخفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُه، حِجابُه النُّورُ، لو كشَفَها لَأحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِه كلَّ شَيءٍ أدرَكَه بصَرُه))، ثمَّ قرأ أبو عُبَيْدةَ: أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [النمل: 8] .

أخرجه ابن ماجه (196)، وأحمد (19587)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح ابن ماجه)) (163).

وقال الأرناؤوط في تحقيق ((المسند)): إسناده صحيح.

والحديث أصلُه في ((صحيح مسلم)) (179) دون قراءة أبي عبيدةَ.

وفي روايةِ أحمدَ: ((النار)) بدل ((النور))، والمرادُ واحدٌ.

وينظر: رسالة ((إزالة الإشكال عن آية بورك من في النار)) لمنصور العيدي (ص: 9).

وقيل: هي نارٌ، كما هو ظاهِرُ اللَّفظِ.

وممَّن ذهب إلى ذلك: السمرقنديُّ، وابنُ جُزَي، وابنُ كثير، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (573/2)، ((تفسير ابن جزي)) (98/2)، ((تفسير ابن كثير)) (179/6)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 57، 58).

ومِمَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ في روايةٍ، ومجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/18، 11)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2845/9)، ((تفسير ابن الجوزي)) (353/3).

(15) المنادِي هو الله تبارك وتعالى.

ومِمَّن نصَّ على ذلك: ابن عطية، والقرطبي، وابنُ تيميَّة، والبِقاعي، والسعدي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/ 249)، ((تفسير القرطبي)) (158/13)، ((منهاج السنة النبوية)) لابن تيميَّة (423/5)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيميَّة (463/5)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (131/14)، ((تفسير السعدي)) (ص: 601)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 55، 56).

قيل: بُورِكَ أي: قُدِّس، وقيل: أي: تبارك.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/18)، ((تفسير الرازي)) (544/24)، ((تفسير ابن عاشور)) (226/19).

وقال ابن عطية: (وقوله: بُورِكَ معناه: قُدِّسَ وضُوعِفَ خيرُه ونُمِيَ، والبَرَكةُ مُختصَّةٌ بالخيرِ).

((تفسير ابن عطية)) (250/4).

وقال البقاعي: (أَنْ بُورِكَ أي: ثَبَت تثبيتًا يحصُلُ منه مِن النَّماءِ والطَّهارةِ وجميعِ الخَيراتِ ما لا يُوصَفُ).

((نظم الدرر)) للبقاعي (132/14).

(16) المرادُ بقولِه تعالى: مَنْ فِي النَّارِ؛ هو الله سبحانَه وتعالى عنَى به نفْسَه، وكانت النَّارُ نورَه تعالَى ذِكرُه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/18).

مِمَّن قال بهذا القولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، والحسنُ، وقَتادةُ، وعِكْرِمةُ، ومحمَّدُ بنُ كعبٍ، وأبو صَخْرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/18)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2845/9).

فاللهُ تعالى دنا مِن موسى عليه السَّلامُ لَمَّا كلَّمه مِن الشَّجرةِ، وقرَّبَه نَجِيًّا، فناداه وناجاه، وهو سبحانه فوقَ العرشِ ويَقرُبُ مِن خَلْقِه كيف شاء، وقُربُه ودُنُوُّه مِن بعضِ مخلوقاتِه لا يَستلزِمُ أن تخلوَ ذاتُه مِن فوقِ العرشِ، ولا يُفهمُ مِن كلامِ السَّلفِ أنَّ الله تعالى قد حلَّ في مخلوقٍ أو أحاط به مخلوقٌ ونحو ذلك مما لا يليقُ نسبتُه لله سبحانَه وتعالى.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيميَّة (460/5، 463)، ((إزالة الإشكال)) لمنصور العيدي (ص: 23).

وهو سبحانَه (يفعلُ ما يَشاءُ، ولا يُشْبِهُ شيئًا مِن مخلوقاتِه، ولا يحيطُ به شيءٌ مِن مَصْنوعاتِه، وهو العليُّ العظيمُ، المبايِنُ لجميعِ المخلوقاتِ، ولا يَكْتَنِفُه الأرضُ وَالسَّمواتُ، بل هو الأحدُ الصَّمَدُ، المُنَزَّهُ عن مُماثلةِ المُحْدَثاتِ).

((تفسير ابن كثير)) (180/6).

ونسَبَ السَّمْعانيُّ إلى أكثَرِ المفسِّرين أنَّ المرادَ بقولِه: مَنْ فِي النَّارِ: نورُ الربِّ سُبحانَه.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (78/4).

وقيل: المُرادُ بمَن في النَّارِ: موسى عليه السَّلامُ، وممَّن اختار هذا القولَ: السَّمَرْقَنْديُّ، والثَّعلبيُّ، والواحديُّ، والرازيُّ، والعُلَيميُّ، والشربينيُّ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (573/2)، ((تفسير الثعلبي)) (190/7)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 800)، ((تفسير الرازي)) (544/24)، ((تفسير العليمي)) (114/5)، ((تفسير الشربيني)) (43/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (226/19).

قال الواحدي: (واختَلَفوا فيمَن في النَّارِ؛ فالأحسَنُ: أنَّ الآيةَ مِن بابِ حَذفِ المضافِ، على تقديرِ: بُورِكَ مَن في طلَبِ النَّارِ، وهو موسى عليه السَّلامُ، وكأنَّه تحيَّةٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ لموسى بالبَرَكةِ، كما حيَّا إبراهيمَ بالبَرَكةِ على ألسِنَةِ الملائكةِ حينَ دخَلوا عليه).

((البسيط)) (164/17).

وقيل: التَّقديرُ: مَن في مكانِ النَّارِ.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (98/2).

وعلى هذا القولِ فالفائدةُ مِن حذفِ كلمةِ مكانٍ شَيْئانِ: الأوَّل: القُربُ التَّامُّ منها.

والثَّاني: أنَّ شُعاعَ النَّارِ قد وصَل هذا القريبَ منها؛ لأنَّ النَّارَ كما هو معروفٌ لها شُعاعٌ، والإنسانُ القريبُ منها يكونُ في نفْسِ الشُّعاعِ؛ فكأنَّه لقُربِه ووُصولِ شُعاعِ النَّارِ إليه صار كأنَّه فيها نفْسِها، وإلَّا فليس هو في نفْسِ الشُّعلةِ، هذا لا يُمكِنُ.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 57).

وقال السَّمْعانيُّ: (فإنْ قيل: لم يكُنْ موسَى في النَّارِ.

قُلْنا: قد كان قريبًا مِنَ النَّارِ، والعربُ تُسمِّي مَن قَرُب مِن الشَّيءِ: في الشَّيءِ، يقولونَ: إذا بلَغْتَ ذاتَ عِرْقٍ فأنت في مكَّةَ؛ قالوا هذا لأجْلِ القُربِ مِن مكَّةَ، وموسى قد كان قَرُب مِنَ النَّارِ، فجعَله كأنَّه في النَّارِ).

((تفسير السمعاني)) (78/4).

وقيل: المُرادُ بمَن في النَّارِ: الملائكةُ، وممن قال به: مقاتلُ بن سليمان، والفَرَّاء -ونسَبه إليه السمعاني-، والبَغَوي، والنسفي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (297/3)، ((معاني القرآن)) للفرَّاء (286/2)، ((تفسير السمعاني)) (78/4)، ((تفسير البغوي)) (490/3)، ((تفسير النسفي)) (592/2)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (434/3).

قال الشنقيطيُّ: (وأقربُ الأقوالِ في معنَى الآيةِ إلى ظاهرِ القرآنِ العظيمِ قولُ مَنْ قالَ: إنَّ في النَّارِ الَّتي هي نورٌ ملائكةً، وحَوْلَها ملائكةٌ ومُوسَى، وأنَّ معنَى: أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ أي: الملائكةُ الَّذينَ هم في ذلك النُّورِ، وَمَنْ حَوْلَهَا أي: وبُورِكَ الملائكةُ الَّذينَ هم حَوْلَها، وبُورِكَ مُوسَى؛ لأنَّه حَوْلَها معهم.

وممَّن يُروَى عنه هذا: السُّدِّيُّ).

((أضواء البيان)) (433/3).

وقيل: هذه البَرَكةُ راجعةٌ إلى النَّارِ نفْسِها.

والمعنَى: بُورِكَتِ النَّارُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (11/18)، ((تفسير السمعاني)) (78/4).

وممَّن قال بهذا القَولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ عنه ومُجاهِدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (11/18).

وذكر الشنقيطيُّ أنَّه بعيدٌ عن ظاهِرِ القرآنِ.

يُنظر: ((أضواء البيان)) (434/3).

(17) المرادُ بقولِه تعالى: وَمَنْ حَوْلَهَا: موسى والملائكةُ.

وممَّن اختاره: ابنُ جُزَي، وابنُ عاشور، والشِّنقيطيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (2/ 98)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/ 226)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/ 434).

قال الواحدي: (قوله تعالى: وَمَنْ حَوْلَهَا هم الملائكةُ وموسى، في قولِ الجميعِ).

((البسيط)) (17/ 168).

وممن قال به مِن السَّلفِ: محمد بنُ كَعْبٍ.

ينظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (6/ 341).

وقيل: المراد بقولِه تعالى: وَمَنْ حَوْلَهَا: الملائكةُ.

وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بنُ سُلَيْمانَ، والفرَّاءُ، والسَّمَرْقَنْديُّ، والثَّعلبيُّ، والواحديُّ، والرازيُّ، والبِقاعي، والشربيني، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (297/3)، ((معاني القرآن)) للفراء (286/2)، ((تفسير السمرقندي)) (573/2)، ((تفسير الثعلبي)) (190/7)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 800)، ((تفسير الرازي)) (544/24)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (132/14)، ((تفسير الشربيني)) (43/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (226/19، 227).

وممَّن قال بهذا القولِ مِنَ السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، وعِكْرِمةُ، والحسنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2847/9).

قال ابن عاشور: («ومَن حَوْلَ النَّارِ» هو جبريلُ الذي أُرسِلَ إليه بما نودِيَ به، والملائكةُ الذين وُكِّلَ إليهم إنارةُ المكانِ وتقديسُه، إنْ كان النِّداءُ بغيرِ واسطةِ جبريلَ، بل كان مِن لَدُنِ اللهِ تعالى).

((تفسير ابن عاشور)) (226/19، 227).

وقال البقاعي: (...

وَمَنْ حَوْلَهَا مِن جميعِ الملائكةِ -عليهم السَّلامُ- وتلك الأراضي المقدَّسة على ما أراد اللهُ في ذلك الوقتِ وفي غيرِه.

وحُقَّ لتلك الأراضي أن تكونَ كذلك؛ لأنَّها مَبعَثُ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومَهبِطُ الوحيِ عليهم، وكِفاتُهم أحياءً وأمواتًا).

((نظم الدرر)) (132/14).

وقيل: وَمَنْ حَوْلَهَا المرادُ به: موسى عليه السَّلامُ.

وممَّن اختاره: النَّسَفي.

يُنظر: ((تفسير النسفي)) (592/2).

وقيل: هو عامٌّ في كلِّ مَن كان في تلك الأرضِ وفي ذلك الوادي وحوالَيْهما مِن أرضِ الشَّامِ.

وممَّن اختاره: الزمخشريُّ، والبيضاويُّ، وأبو السعود.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: وتنزيهًا لله رَبِّ العالَمينَ مِن كُلِّ نَقصٍ وسُوءٍ وعَيبٍ.

يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9).

أي: يا موسى، إنَّه أنا اللهُ المستَحِقُّ للعبادةِ وَحْدي، القويُّ الغالِبُ الذي لا يُقهَرُ، الحكيمُ في أمرِه وقَولِه وفِعلِه.

كما قال تعالى: وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [طه: 13، 14].

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10).

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ.

أي: وارْمِ عصاك، فرماها فانقلَبَت ثُعبانًا عظيمًا، فلمَّا رآها موسَى تتحَرَّكُ وتَضطرِبُ بخِفَّةٍ وسُرعةٍ، وكأنَّها حيَّةٌ صَغيرةٌ؛ هرَب منها مُسرِعًا ولم يرجِعْ ولم يلتَفِتْ.

يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (349/3)، ((تفسير البيضاوي)) (155/4)، ((تفسير أبي السعود)) (273/6).

أي: فقُلْنا: يا موسى، لا تخَفْ مِمَّا ترى؛[18] لأنِّي لا يَخافُ عندي الرُّسلُ.[19]

---

(18) قال القرطبي: (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ أي: مِن الحيَّةِ وضررِها).
((تفسير القرطبي)) (160/13).

(19)قال الشوكاني: (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ أيْ: لا يَخافُ عِنْدي مَنْ أرسَلْتُه برسالَتِي، فلا تَخَفْ أنت.
قِيلَ: ونَفْيُ الخوفِ عن المرسلينَ ليسَ في جميعِ الأوقاتِ، بل في وقتِ الخطابِ لهم، لأنَّهم إذْ ذاكَ مُستغرقونَ).
((تفسير الشوكاني)) (147/4).

ممن اختار القولَ الأولَ، أي: لا يخافُ عندي رسلي وأنبيائي: مقاتل بن سليمان، وابن جرير، والزجاج، وابن الجوزي، والشوكاني.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (297/3)، ((تفسير ابن جرير)) (16/18)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (110/4)، ((تفسير ابن الجوزي)) (354/3)، ((تفسير الشوكاني)) (147/4).

قال ابنُ جرير: (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ يقولُ: إنِّي لا يَخافُ عندي رُسلي وأنبيائي الذين أختصُّهم بالنبوَّةِ).
((تفسير ابن جرير)) (16/18).

وقال الواحدي: (قال ابنُ عباسٍ: لا يخافُ عندي مَن أرسلتُه برسالتي، والمعنَى: لا يُخيف اللهُ الأنبياءَ، أي: إذا أمَّنهم فلا يخافونَه، فيكف يخافُ الحيةَ؟! فنهَى عن الخوفِ مِن الحيةِ، ونبَّه على أمنِ المرسلينَ عندَ اللهِ ليُعلمَ أنَّ مَن أمَّنه اللهُ مِن عذابِه بالنبوةِ ودرجةِ الرسالةِ لا يستحقُّ أن يخافَ الحيةَ).
((البسيط)) (173/17).

وقال القاسمي: (لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ أي: لِحِفْظي لهم وعِنايتي بهم وعِصْمتي إياهم مما يُؤْذيهم).
((تفسير القاسمي)) (487/7).

وقال النيسابوري: (وسببُ نفيِ الخوفِ عن الرسلِ مشاهدةُ مزيدِ فضلِ اللهِ وعنايتِه في حقِّهم).
((تفسير النيسابوري)) (294/5).

وممن ذهب إلى أنَّ قولَه: لَدَيَّ يعني: حينَ الوحيِ وتلَقِّي الرِّسالةِ في حضرةِ الربِّ تعالى: البِقاعي، والألوسي، وابن عاشور.
يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (135/14)، ((تفسير الألوسي)) (159/10)، ((تفسير ابن عاشور)) (229/19).

قال السعدي: (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ لأنَّ جميعَ المخاوفِ مُندَرِجةٌ في قضائِه وقَدَرِه، وتصريفِه وأمْرِه، فالذين اختصَّهم اللهُ برسالتِه واصْطَفاهم لوَحْيِه لا ينبغي لهم أن يخافوا غيرَ اللهِ، خصوصًا عندَ زيادةِ القُربِ منه، والحُظوةِ بتكليمِه).
((تفسير السعدي)) (ص: 601).

وقال الكرماني: (قوله: لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ، أي، في الموضعِ الذي يُوحي فيه إليهم؛ لأنَّ المرسلينَ أخوفُ مِن اللهِ).
((تفسير الكرماني)) (843/2).

وممن اختار أنَّ معنى: لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ أي: إذا أمَّنتهم: السمعاني، والبغوي، والعليمي.
يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (79/4)، ((تفسير البغوي)) (491/3)، ((تفسير العليمي)) (116/5).

كما قال تعالى: وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ [القصص: 31].

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11).

أي: لَكِنْ[20] مَن ظلَمَ نفْسَه بارتكابِ السُّوءِ، والوُقوعِ في الذَّنبِ، ثمَّ تاب وعَمِلَ صالحًا بعْدَ عَمَلِه السيِّئِ؛ فإنِّي غفورٌ لِذَنْبِه -أستُرُه عليه، وأتجاوَزُ عن مؤاخَذتِه به-، ورحيمٌ به.

قال البغوي: (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ، يريدُ إذا آمَنهم لا يخافون، أمَّا الخوفُ الذي هو شرطُ الإيمانِ فلا يفارِقُهم).

((تفسير البغوي)) (491/3).

(20) الاستثناءُ هنا منقطِعٌ بمعنى: لَكِنْ.

وممَّن قال بذلك: القرطبيُّ، وابنُ جُزَي، وابنُ كثير، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (160/13)، ((تفسير ابن جزي)) (99/2)، ((تفسير ابن كثير)) (180/6)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 73).

قال ابنُ عثيمين: (إنَّ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ لَمَّا قال الله له: إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ لعلَّه تذكَّرَ أنَّه قد وقع منه خطيئةٌ، والخطيئةُ أنَّه قتَل نفْسًا، وكأنَّه عندما يتذكَّرُ هذا قد يستبعِدُ في نفْسِه أن يكونَ مِن الرُّسلِ، فقال الله سبحانه وتعالى: إِلَّا مَنْ ظَلَمَ؛ لِيُذَكِّرَه بما مَنَّ به عليه مِن التَّوبةِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 72).

وقال أيضًا: (الاستثناءُ في إِلَّا هنا منقطِعٌ؛ لأنَّه يشمَلُ الرُّسلَ وغيرَ الرُّسلِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 74).

وقيل: المعنى: لَكِنْ مَن ظلَمَ مِن سائرِ النَّاسِ، لا مِنَ المُرسَلينَ.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (99/2).

وقيل: الاستثناءُ هنا متَّصِلٌ.

والمعنى: لا يَخافُ لدَيَّ المُرسَلون إلَّا مَن ظلَم منهم.

وممَّن ذهب إلى ذلك: ابنُ جرير، واستظهره ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/18، 19)، ((تفسير ابن عاشور)) (229/19).

قال الشوكاني: (والمعنَى: إلَّا مَن ظَلَم مِن المرسَلينَ، بإتيانِ الصَّغائرِ الَّتي لا يَسلَمُ منها أحدٌ.

واختارَ هذا النَّحَّاسُ، وقالَ: عَلِم مَن عصَى منهم، فاسْتَثْناه فقال: إلَّا مَنْ ظَلَمَ وإنْ كنتُ قد غَفَرْتُ له؛ كآدَمَ وداودَ ...

وموسَى بقتلِه القِبْطيّ.

ولا مانِعَ مِن الخَوفِ بعْدَ المغفرةِ).

((تفسير الشوكاني)) (147/4).

ويُنظر: ((إعراب القرآن)) للنحاس (137/3)، ((تفسير القرطبي)) (161/13).

وقال السمعاني: (وقَولُه: إلَّا مَنْ ظَلَمَ فيه أقوالٌ؛ أحدُها: ولا مَن ظَلَم ثمَّ بدَّل حُسنًا بعْدَ سوءٍ، أي: تاب ونَدِم.

وهذا القولُ ضعيفٌ عندَ أهلِ النَّحوِ.

والقولُ الثَّاني: أنَّ معنى الآيةِ: إنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ المرسَلونَ، وإنَّما يَخافُ غيرُ المرسَلينَ، إلَّا مَن ظَلَم ثمَّ بدَّل حُسنًا بعْدَ سوءٍ فإنَّه لا يَخافُ.

والقولُ الثَّالثُ: أنَّ الاستثناءَ هاهنا منقطِعٌ، ومعناه: لَكِن مَن ظلَم فخافَ فإنْ بدَّل حسنًا بعْدَ سوءٍ فإنَّه لا يخافُ).

((تفسير السمعاني)) (80/4).

وقال النَّحَّاسُ: (فإنْ قال قائلٌ: فما معنى الخَوفِ بعْدَ التَّوبةِ والمغفرةِ؟ قيل له: هذه سبيلُ العلماءِ باللهِ جلَّ وعزَّ؛ أن يكونوا خائفينَ مِن معاصيه، وَجِلِينَ، وهم أيضًا لا يأْمَنون أن يكونَ قد بقِيَ مِن أشراطِ التَّوبةِ شيءٌ لم يأتوا به، فهم يخافونَ مِن المطالبةِ به).

((إعراب القرآن)) (137/3).

وقال ابنُ القيِّم: (الخوفُ ثابتٌ له حالَ ظلمِه وحالَ تبديلِه الحسنَ بعدَ السوءِ، أمَّا حالَ ظلمِه فظاهرٌ، وأمَّا حالَ التَّبديلِ فلأنَّه يخافُ أنَّه لم يَقُمْ بالواجبِ، وأنَّه لم يُقبَلْ منه ما أتَى به...

فمَن ظلَمَ ثمَّ تاب فهو أَوْلَى بالخَوفِ، وإنْ لم يكُنْ خَوفٌ عليه).

((بدائع الفوائد)) (71/3).

اختُلِف هل الاستثناء متصل أو منقطع؛ فقال قوم: الاستثناء متصل، وهو إخبار عن الأنبياء.

وقال آخرون: منقطع، وهو إخبار عن غير الأنبياء، كأنه قال: لكن مَن ظلم مِن الناس ثم تاب فإني غفور رحيم.

ونسب ابنُ جرير (١٨/ ١٨ – ١٩) القول الثاني لبعض أهل اللغة، ورجح الأول، وانتقد الثاني مستندًا إلى اللغة، فقال:

«والصواب مِن القول في قوله: ﴿إلا من ظلم ثم بدل﴾ عندي غيرُ ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم مِن أهل العربية، بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جريج ومَن قال قولهما، وهو أن قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء صحيح مِن قوله: ﴿لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم﴾ منهم فأتى ذنبًا، فإنه خائف لديه مِن عقوبته.

وقد بيَّن الحسن؟ معنى قيل الله لموسى ذلك، وهو قوله: قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس.

كما قال تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه: 82].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء: 110].

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12).

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

أي: وأدخِلْ يدَك في جَيبِ قَميصِك ثمَّ أخرِجْها، تخرُجْ بَيضاءَ اللَّونِ مِن غَيرِ بَرَصٍ أو غيرِه مِنَ الآفاتِ.

فإن قال قائل: فما وجه قيله إن كان قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء صحيحًا، وخارجًا مِن عِداد مَن لا يخاف لديه مِن المرسلين؟ وكيف يكون خائفًا مَن كان قد وعد الغفران والرحمة؟ قيل: إن قوله: ﴿ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ كلام آخر بعد الأول، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم، ومن لم يظلم عند قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ ثم ابتدأ الخبر عمَّن ظلم مِن الرسل وسائر الناس غيرهم.

وقيل: فمن ظلم ثم بدَّل حسنًا بعد سوء فإني له غفور رحيم.

فإن قال قائل: فعلامَ تعطف –إن كان الأمر كما قلت– بـ ﴿ثم﴾ إن لم يكن عطفًا على قوله: ﴿ظلم﴾؟ قيل: على متروك استغنى –بدلالة قوله: ﴿ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ عليه– عن إظهاره، إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره، وهو: فمن ظلم مِن الخلق.

وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية فقد قالوا على مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة، وحملوها على غير وجهها من التأويل، وإنما ينبغي أن يُحمَل الكلام على وجهه مِن التأويل، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج، لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل».

وساق ابنُ عطية (٦/ ٥٢١) القول الأول، ثم علَّق بقوله: «وأجمع العلماء أنّ الأنبياء؟ معصومون من الكبائر، ومن الصغائر التي هي رذائل، واختُلِف فيما عدا هذا، فعسى أن يشير الحسن وابن جريج إلى ما عدا ذلك، وفي الآية –على هذا التأويل– حذفٌ اقتضى الإيجاز والفصاحة، ترك نصه، تقديره: فمن ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء».

وذكر أنّ فرقة قالت: ﴿إلا﴾ بمعنى الواو.

وانتقده بقوله: «وهذا قول لا وجه له».

كما قال تعالى: وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى [طه: 22، 23].

وقال سبحانه: وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [القصص: 31، 32].

فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

أي: وهي آيةٌ مِن جُملةِ تِسعِ آياتٍ(21) نُرسِلُك بها إلى فِرعَونَ وقومِه.

---

(21) قوله: فِي تِسْعِ آيَاتٍ (في) بمعنى (من).

وقيل: بمعنى (مع).

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/80)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/355).

قال ابنُ عطيةَ في بيانِ الآياتِ التِّسعِ في قَولِه تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ من سورة الإسراء: (اتَّفَق المتأوِّلونَ والرُّواةُ أنَّ الآياتِ الخَمسَ التي في سورةِ الأعرافِ هي مِن هذه التِّسعِ، وهي: الطُّوفانُ، والجَرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ، واختلَفوا في الأربَعِ).

((تفسير ابن عطية)) (3/488).

وقال الواحدي: (قال المفسِّرون: هي الطوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضفادِعُ، والدَّمُ، والعصا، ويدُه، والسِّنونَ، ونقصٌ من الثَّمَراتِ).

((الوسيط)) (3/130).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 77، 78).

ونسَبه الشوكانيُّ إلى أكثرِ المفسِّرينَ.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (3/311).

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ... [هود: 96، 97].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ [الإسراء: 101].

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

أي: فأرسَلْناك بتلك الآياتِ إليهم؛ لأنَّهم كانوا قومًا كافرينَ باللهِ، خارجينَ عن طاعتِه.

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13).

وذكر ابنُ كثير الخلافَ في عدِّ الآياتِ التِّسعِ في آيةِ الإسراءِ، وأنَّ مِنهم مَن قال: إنَّها (العصا، واليَدُ، والسِّنونَ، والبَحرُ، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ؛ آياتٌ مُفَصَّلاتٌ.

قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ: هي اليدُ، والعصا، والخمسُ في الأعرافِ، والطمسةُ، والحجرُ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ أيضًا، ومجاهدٌ، وعِكْرِمةُ، والشعبيُّ، وقتادةُ: هي يدُه، وعصاه، [والسِّنون]، ونقصُ الثمراتِ، والطوفانُ، والجرادُ، والقمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ.

وهذا القولُ ظاهرٌ جليٌّ حسنٌ قويٌّ.

وجعَل الحسنُ البصريُّ «السنينَ ونقصَ الثمراتِ» واحدةً، وعندَه أنَّ التاسعةَ هي: تلقُّفُ العصا ما يأْفِكون...

فهذه الآياتُ التِّسعُ التي ذكَرها هؤلاء الأئمَّةُ، هي المرادةُ هاهنا، وهي المَعنيَّةُ في قولِه تعالى: وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [النمل: 10– 12] فذكَرَ هاتينِ الآيتَينِ: العصا واليَدَ، وبيَّنَ الآياتِ الباقياتِ في «سورة الأعراف» وفصَّلَها.

وقد أُوتِيَ موسى عليه السَّلامُ آياتٍ أُخَرَ كثيرةً؛ منها: ضَرْبُه الحَجَرَ بالعصا، وخروجُ الأنهارِ منه، ومنها تظليلُهم بالغمامِ، وإنزالُ المَنِّ والسَّلْوى، وغيرُ ذلك ممَّا أُوتِيَه بنو إسرائيلَ بعْدَ مُفارقتِهم بلادَ مِصرَ، ولكِنْ ذكَر هاهنا التِّسعَ الآياتِ التي شاهَدَها فِرعَونُ وقومُه مِن أهلِ مِصرَ، وكانت حُجَّةً عليهم، فخالفوها وعانَدوها كُفرًا وجُحودًا).

((تفسير ابن كثير)) (5/124، 125).

ويُنظر: ((البداية والنهاية)) لابن كثير (2/57، 58) و (9/95، 345-346).

أي: فلمَّا جاءت فِرعَونَ وقومَه آياتُنا التِّسعُ مضيئةً ظاهِرةً واضِحةَ الدَّلالةِ على صِدقِ موسى ورسالتِه، واحدةً بعْدَ أُخرَى؛ قالوا: هذا الذي أَرانا موسى سِحرٌ واضِحٌ لا يخفَى على أحَدٍ!

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ [الأعراف: 130-133].

وقال سُبحانَه: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ [الزخرف: 47- 50].

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14).

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا.

أي: وكذَّب فِرعَونُ وقومُه بالآياتِ، وأنكروا بألسِنتِهم أن تكونَ مِن عندِ اللهِ، مع تيقُّنِ قُلوبِهم أنَّها مِن عندِ اللهِ تيقُّنًا تامًّا لا شَكَّ فيه، ولكِنَّهم كذَّبوا وأنكروا؛ اعتِداءً وتكبُّرًا عن اتِّباعِ الحَقِّ.

كما قال تعالى: ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا [الأعراف: 103].

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ.

أي: فانظُرْ –يا محمَّدُ– إلى نهايةِ أمرِ الذين يُفسِدونَ في الأرضِ بالشِّركِ والمعاصي، كيف أهلَكَهم اللهُ ودمَّرَهم.

سورةُ النَّملِ

الآيات (15 – 19)

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

غَرِيبُ الكَلِمَاتِ:

مَنْطِقَ الطَّيْرِ: أي: نُطْقَه، وكلامَه، فجعَله كمَنطقِ الرجُلِ إذ فُهِم، والنُّطقُ هو الأصواتُ المُقَطَّعةُ التي يُظهِرُها اللِّسانُ، وتَعِيها الآذانُ، وتُعرَفُ بها المعاني، وأصلُ (نطق) هنا: كلامٌ أو ما أشْبَهَه.

يُوزَعُونَ: أي: يُدفَعونَ، ويُحبَسُ أوَّلُهم على آخِرِهم، وأصلُ (الوَزْع): الكفُّ والمنعُ.

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ: أي: لا يَقتُلَنَّكم ولا يكسِرَنَّكم، مِن الحَطمِ: وهو كَسرُ الشَّيءِ.

أَوْزِعْنِي: أي: ألهِمْني، و(الإيزاع): الإغراءُ بالشَّيءِ، يُقالُ: أوزَعْتُه بكذا، أي: أغرَيْتُه به، و: فلانٌ مُوزَعٌ بكذا، ومُولَعٌ به، بمعنًى واحدٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15).

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا.

أي: ولقد أعطَيْنا داودَ وابنَه سُلَيمانَ عِلمًا.[22]

وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

أي: وقال داودُ وسُلَيمانُ: الحَمدُ لله الَّذي فضَّلَنا على كثيرٍ مِن عِبادِه المُؤمِنينَ، بما اختَصَّنا به.[23]

---

(22) قيل: المرادُ: عِلمُ كَلامِ الطَّيرِ والدَّوابِّ، وغيرِ ذلك ممَّا خصَّهما اللهُ بعِلمِه.

وممَّن ذهب إلى ذلك: ابنُ جرير، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/18)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (139/14).

قال ابنُ الجوزي: (قال المفسِّرون: عِلْمًا بالقَضاءِ، وبكلامِ الطَّيرِ والدوابِّ، وتسبيحِ الجبالِ).

((تفسير ابن الجوزي)) (355/3).

ممَّن قال: المرادُ: العِلمُ بالقضاءِ، وبكلامِ الطَّيرِ والدَّوابِّ: مقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ، والسَّمَرْقَنْديُّ، والسَّمْعانيُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (298/3)، ((تفسير السمرقندي)) (575/2)، ((تفسير السمعاني)) (81/4).

ومِن المفسِّرينَ مَن زاد إلى ما سبق: تسبيحَ الجبالِ؛ منهم: البَغَويُّ، وابنُ عادل، والعُلَيْمي.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (492/3)، ((تفسير ابن عادل)) (122/15)، ((تفسير العليمي)) (118/5).

وقال ابنُ عثيمين: (العِلمُ الَّذي مَنَّ اللهُ به على داودَ وسُلَيْمانَ وأثنى عليهما به هو عِلمُ الشَّريعةِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 100).

(23) قال ابن جرير: (يقول جَلَّ ثناؤه: وقال داودُ وسُليمانُ: الحمدُ لله الذي فضَّلَنا بما خَصَّنا به مِن العِلمِ الذي آتاناه دونَ سائرِ خَلقِه مِن بني آدمَ في زمانِنا هذا، على كثيرٍ مِن عبادِه المؤمنينَ به في دَهرِنا هذا).

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16).

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ.

((تفسير ابن جرير)) (24/18).

وقال الواحدي: (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا أي: بالنُّبوَّةِ والكتابِ، وإلانةِ الحديدِ، وتسخيرِ الشَّياطينِ والجِنّ والإنسِ، والمُلكِ الذي أعطاهما اللهُ وفضَّلهما به).

((البسيط)) (180/17).

ويُنظر: ((تفسير الرسعني)) (439/5)، ((تفسير الشوكاني)) (149/4).

أي: ووَرِثَ سُلَيمانُ أباه داودَ في النُّبوَّةِ[24] والعِلمِ ومُلكِ بني إسرائيلَ.[25]

---

(24) رجَّح ابنُ القيم (٢/ ٢٧٩) أنّ الميراث: هو ميراث العلم والنبوة فقط، مستندًا إلى الإجماع، ودلالة العقل، والسياق، والنظائر، فقال: «هو ميراث العلم والنبوة لا غير، وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم، وهذا لأنّ داود – عليه السلام – كان له أولاد كثير سوى سليمان، فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصًّا به.

وأيضًا فإنّ كلام الله يصان عن الإخبار بمثل هذا؛ فإنه بمنزلة أن يقال: مات فلان وورثه ابنه.

ومِن المعلوم أنّ كلَّ أحد يرثه ابنه، وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة، وأيضًا فإنّ ما قبل الآية وما بعدها يبين أنّ المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال، قال تعالى: ﴿ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داوود﴾، وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان، وما خصَّه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى المواهب، وهو العلم والنبوة، ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾، وكذلك قول زكريا – ﷺ –: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ [مريم: ٥ – ٦]، فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة الى الله، وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله، فيسأل الله العظيم ولدًا يمنعهم ميراثه، ويكون أحق به منهم! وقد نزه الله أنبياءه ورسله عن هذا وأمثاله».

وبنحوه ابنُ تيمية (٥/ ٦٤)، إلا أنه انتقد الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فهب من لدنك وليا يرثني﴾، مستندًا إلى اللغة، فذكر أنه: «لا يدل على محل النزاع؛ لأنّ الإرثَ اسمُ جنس تحته أنواع، والدالُّ على ما به الاشتراك لا يدل على ما به الامتياز، فإذا قيل: هذا حيوان.

لا يدل على أنه إنسان أو فرس أو بعير، وذلك أنّ لفظ الإرث يستعمل في إرث العلم والنبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال، قال تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [فاطر: ٣٢]».

(25) مِنَ المفسِّرين مَن قصَرَ الوِراثةَ على العِلمِ والمُلكِ، ومنهم: مقاتلُ بن سليمان، وابن جرير، ومكّي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (299/3)، ((تفسير ابن جرير)) (24/18)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (5381/8).

قال ابن جرير: (يقولُ تعالى ذِكرُه: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ أباه داودَ العِلمَ الذي كان اللهُ آتاهُ في حياتِه، والمُلكَ الذي كان خَصَّه به على سائرِ قَومِه، فجعَلَه له بعدَ أبيه داودَ دُونَ سائرِ وَلَدِ أبيه).

((تفسير ابن جرير)) (24/18).

ومنهم مَن زاد النُّبوَّةَ إلى العِلمِ والمُلكِ، ومنهم: الثعلبيُّ، والبَغَويُّ، وابن الجوزي، والخازن، وابن جُزَي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (193/7)، ((تفسير البغوي)) (492/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (355/3)، ((تفسير الخازن)) (339/3)، ((تفسير ابن جزي)) (99/2)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (139/14).

ومِن المفسِّرينَ مَن قصَر الوراثةَ على النُّبوَّةِ والمُلكِ، ومنهم: الزمخشريُّ، وابن عطية، والنسفي، وابن كثير، والعليمي، والألوسي.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ.

أي: وقال سُلَيمانُ لِبَنِي إسرائيلَ مُتحَدِّثًا بنِعمةِ اللهِ عليه: يا أيُّها النَّاسُ، علَّمَنا اللهُ كلامَ الطُّيورِ، وفهَّمَنا معانيَ أصواتِها![26]

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (353/3)، ((تفسير ابن عطية)) (253/4)، ((تفسير النسفي)) (595/2)، ((تفسير ابن كثير)) (182/6)، ((البداية والنهاية)) لابن كثير (323/2)، ((تفسير العليمي)) (118/5)، ((تفسير الألوسي)) (166/10).

قال ابن كثير: (وقولُه: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ أي: في المُلْكِ والنُّبوَّةِ، وليس المرادُ وِراثةَ المالِ؛ إذ لو كان كذلك لم يُخَصَّ سُلَيمانُ وحْدَه مِن بينِ سائرِ أولادِ داودَ، فإنَّه قد كان لداودَ مئةُ امرأةٍ.

ولكِنَّ المرادَ بذلك وراثةُ المُلكِ والنُّبوَّةِ؛ فإنَّ الأنبياءَ لا تُورَثُ أموالُهم، كما أخبَرَ بذلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ).

((تفسير ابن كثير)) (182/6).

وقال ابن القيِّم: (وأمَّا قولُه تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ فهو ميراثُ العِلمِ والنُّبوَّةِ لا غيرُ، وهذا باتِّفاقِ أهلِ العِلمِ من المفسِّرينَ وغيرِهم).

((مفتاح دار السعادة)) (67/1).

ويُنظر: ((تفسير الجلالين)) (ص: 496)، ((تفسير الشوكاني)) (149/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 602).

(26) ذهب مقاتِلُ بنُ سُلَيمان، وابنُ العربي، وابنُ كثير، وابنُ عاشور: إلى أنَّ سُليمانَ كان يعلَمُ منطِقَ الطُّيورِ والحيواناتِ كلِّها.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سُلَيمان)) (299/3)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2855/9، 2857)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (475/3)، ((تفسير ابن كثير)) (182/6)، ((تفسير ابن عاشور)) (237/19).

قال ابن كثير: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ يعني: أنَّه عليه السَّلامُ كان يَعرِفُ ما تتخاطَبُ به الطُّيورُ بِلُغاتِها، ويُعَبِّرُ للنَّاسِ عن مَقاصِدِها وإراداتِها...

وكذلك ما عَداها مِن الحَيَواناتِ، وسائرِ صُنوفِ المخلوقاتِ).

((البداية والنهاية)) (324/2، 325).

وقال الشوكاني: (قال جماعةٌ مِن المفسِّرينَ: إنَّه عُلِّمَ مَنطِقَ جميعِ الحيواناتِ، وإنَّما ذُكِرَ الطَّيرُ؛ لأنَّه كان جندًا مِن جُندِه، يسيرُ معه لتظليلِه مِن الشَّمسِ.

وقال قَتادةُ والشَّعْبيُّ: إنَّما عُلِّمَ مَنطِقَ الطَّيرِ خاصَّةً، ولا يُعترَضُ ذلك بالنَّملةِ؛ فإنَّها مِن جملةِ الطَّيرِ، وكثيرًا ما تخرُجُ لها أجنحةٌ فتَطيرُ).

((تفسير الشوكاني)) (150/4).

ويُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (217/8)، ((تفسير الألوسي)) (168/10).

وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

أي: وأعطانا اللهُ مِن كُلِّ النِّعَمِ والخَيراتِ.[27]

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ.

أي: إنَّ هذا الذي أُوتيناهُ لهو الفَضلُ الظَّاهِرُ الواضِحُ.

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17).

أي: وجُمِعَ لسُلَيمانَ عَساكِرُه الكثيرةُ المتنَوِّعةُ مِن الجِنِّ والإنسِ والطُّيورِ، فهم يُنظَّمونَ في مَسيرِهم، فيُرَدُّ أوَّلُهم على آخِرِهم؛ لِيَبقَوا مُجتَمِعين مُرتَّبينَ.[28]

---

(27) قال البقاعي: (وَأُوتِينَا مِمَّن له العَظَمةُ بأيسَرِ أمرٍ مِن أمْرِه مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أي: يكملُ به ذلك من أسبابِ المُلكِ والنُّبوَّةِ وغيرِهما، وعبَّرَ بأداة الاستغراقِ تعظيمًا للنِّعمةِ، كما يُقالُ لِمن يَكثُرُ تردُّدُ الناس إليه: فلانٌ يقصِدُه كُلُّ أحدٍ).

((نظم الدرر)) (14/140).

وقال ابن كثير: (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أي: مِن كلِّ ما يَحتاجُ المِلكُ إليه؛ مِنَ العُدَدِ، والآلاتِ، والجُنودِ، والجُيوشِ، والجماعاتِ مِنَ الجِنِّ، والإنسِ، والطُّيورِ، والوُحوشِ، والشَّياطينِ السَّارِحاتِ، والعُلومِ، والفُهومِ، والتَّعبيرِ عن ضمائرِ المخلوقاتِ، مِنَ النَّاطِقاتِ والصَّامِتاتِ).

((البداية والنهاية)) (2/325).

وقال ابنُ جُزَي: (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عمومٌ معناه الخصوصُ، والمرادُ بهذا اللَّفظِ التَّكثيرُ).

((تفسير ابن جزي)) (ص: 1315).

وقال ابنُ عثيمين: (اللهُ سبحانه وتعالى أعطى سليمانَ مِن كُلِّ شَيءٍ يَتِمُّ به المُلكُ...

إذا قَيَّدْنا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يتِمُّ به المُلكُ؛ فـ مِنْ لبيان الجِنسِ، وإذا قُلْنا: إنَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عامٌّ لكُلِّ شَيءٍ؛ فإنَّ مِنْ تكونُ للتَّبعيضِ؛ لأنَّهما ما أُعطُوا كُلَّ شَيءٍ، بل بعضَ كُلِّ شَيءٍ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 106).

(28) اختلف في معنى قوله: ﴿فهم يوزعون﴾ على أقوال خمسة: الأول: معنى ذلك: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا.

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18).

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ.

أي: فساروا حتى إذا مرَّ سُليمانُ وجنودُه[29] بوادي النَّملِ قالتْ نملةٌ منهم محذِّرةً لهم بعْدَ أن رأتِ الجَيشَ: يا أيُّها النَّملُ ادخُلوا بيوتَكم مُسرِعينَ مُحترِزينَ.

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

أي: لا يَكسِرَنَّكم ويَهشِمَنَّكم سُليمانُ وجَيشُه حينَ يمُرُّونَ بِواديكم، وهم لا يَشعُرونَ بذلك التَّحطيمِ ولا يَقصِدونَه.

الثاني: يساقون.

الثالث: يتقدمون.

الرابع: يدفعون.

الخامس: يوقفون.

ورجح ابنُ جرير (٦/ ٢٧) مستندًا إلى اللغة القولَ الأول الذي قاله ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وأبو رزين، فقال: «وذلك أنّ الوازع في كلام العرب هو: الكافُّ، يقال منه: وزع فلان فلانًا عن الظلم: إذا كفه عنه».

وعلَّق ابنُ عطية (٦/ ٥٢٥) على القول الأول بقوله: «ومنه قول الحسن البصري حين ولي قضاء البصرة: لا بُدَّ للحاكم مِن وزعة.

ومنه قول أبي قحافة حين وصفت له الجارية في يوم الفتح أنّها ترى سوادًا أمامه فارس قد تقدم من الصف، فقال لها: ذلك الوازع».

(29) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٥٢٦) أنّ ظاهر هذه الآية: أنّ سليمان وجنوده كانوا مشاة في الأرض، وأنّه بذلك يتفق حطم النمل بنزولهم في وادي النمل، ثم قال: «ويحتمل أنّهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحست النمل بنزولهم في وادي النمل».

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ **(19)**.

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا.

أي: فتبسَّم سُلَيمانُ ضاحِكًا؛[30] تعجُّبًا وسُرورًا مِن كَلامِ النَّملةِ.[31]

---

(30) قيل: المرادُ: أنَّه شرَع في الضَّحِك آخِذًا فيه، ولكِنْ لم يبلُغْ حَدَّ القهقهةِ وكَمالِ الضَّحِك.

وممَّن قال بذلك: الزمخشري، والرازي، والنيسابوري.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (356/3)، ((تفسير الرازي)) (549/24)، ((تفسير النيسابوري)) (300/5).

وقيل: كان أوَّلُه التبسُّمَ، وآخرُه الضَّحِكَ، وممَّن اختاره: الكرماني، وجلال الدين المحلي، وابن عجيبة.

يُنظر: ((تفسير الكرماني)) (846/2)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 496)، ((تفسير ابن عجيبة)) (186/4).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير السمعاني)) (86/4)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 124).

وقيل: المرادُ: بيانُ أنَّه تبسَّمَ تبسُّمَ الضاحِكِ، وليس تبسُّمَ المُغضَب، فأكَّد هذا المعنى وحقَّقَه بقولِه: ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا.

وممَّن قال بذلك: البقاعي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) (144/14).

قال ابن عثيمين: (ويحتملُ أن يكونَ معنى قولِه: فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا أنَّه ضَحِك مُتبَسِّمًا، يعني أنَّه ما ظهَر له صوتٌ ولكنَّه تبسَّم تبسُّمًا، والله أعلم.

وعلى هذا التَّقدير تكونُ ضَاحِكًا حالًا مبيِّنةً للنَّوعِ، يعني أنَّ ضَحِكَه كان تبسُّمًا).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 124).

وممَّن اختار هذا المعنى: الزجاجُ، والسمعاني، والبغوي، والسعدي.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (112/4)، ((تفسير السمعاني)) (86/4)، ((تفسير البغوي)) (495/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 603).

قال السعدي: (وهذا حالُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ؛ الأدبُ الكامِلُ، والتعَجُّبُ في موضِعِه، وألَّا يَبلُغَ بهم الضَّحِكُ إلَّا إلى التبسُّمِ، كما كان الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسلَّمَ جُلُّ ضَحِكِه التبَسُّم؛ فإنَّ القهقهةَ تدُلُّ على خِفَّةِ العَقلِ وسُوءِ الأدبِ، وعَدَمَ التبسُّمِ والعَجَبِ ممَّا يُتعجَّبُ منه: يدُلُّ على شَراسةِ الخُلُقِ والجبروتِ.

والرُّسلُ مُنزَّهونَ عن ذلك).

((تفسير السعدي)) (ص: 603).

ويُنظر: ((زاد المعاد)) لابن القيم (175/1)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (295/2-297).

قال ابنُ حجرٍ في بيانِ الفرقِ بينَ التبسمِ والضحكِ والقهقهةِ: (قال أهلُ اللُّغةِ: التبسُّمُ مبادئُ الضَّحِكِ، والضَّحِكُ انبساطُ الوجهِ حتَّى تظهَرَ الأسنانُ مِنَ السُّرورِ، فإنْ كان بصَوتٍ وكان بحيثُ يُسمَعُ مِن بُعدٍ فهو القَهْقَهةُ، وإلَّا فهو الضَّحِكُ، وإنْ كان بلا صَوتٍ فهو التبسُّمُ).

((فتح الباري)) (504/10).

ويُنظر: ((فقه اللغة وسر العربية)) للثعالبي (ص: 89).

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ.

أي: وقال سُلَيمانُ: ربِّ أَلهِمْني ووفِّقْني إلى شُكرِ نِعمتِك علَيَّ وعلى والدَيَّ، بحيثُ أكونُ مُلازِمًا لشُكرِ نِعَمِك الدينيَّةِ والدُّنيويَّةِ علينا.

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ.

أي: وأن أعمَلَ في بقيَّةِ عُمري عَمَلًا خالِصًا لك، مُتَّبِعًا فيه شَرْعَك، مُوافِقًا لِمَرضاتِك.

---

(31) قال ابنُ عطية: (وكان تبسُّمُه سُرورًا، واختُلِفَ بِمَ كان؛ فقالت فِرقةٌ: بنِعمةِ اللهِ في إسماعِه وإفهامِه ونحوِ ذلك، وقالت فرقةٌ: بثناءِ النَّملةِ عليه وعلى جنودِه في أن نَفَت عنهم تعمُّدَ القَبيحِ مِن الفِعلِ، فجعلَتِ الحَطْمَ وهم لا يَشعُرونَ).

((تفسير ابن عطية)) (254/4).

وقال البيضاوي: (تبسَّم ضاحِكًا مِن قَولِها؛ تعجُّبًا من حَذَرِها وتحذيرِها، واهتدائِها إلى مصالحِها، وسرورًا بما خصَّه الله تعالى به مِن إدراكِ هَمسِها، وفَهْمِ غرَضِها).

((تفسير البيضاوي)) (157/4).

وقال السعدي: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا إعجابًا منه بفصاحتِها ونصحِها وحُسنِ تعبيرِها).

((تفسير السعدي)) (ص: 603).

وقال ابنُ عاشور: (إنما تعجَّب مِن أنَّها عرَفت اسمَه، وأنَّها قالت: وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فوَسَمَتْهُ وجندَه بالصَّلاحِ والرَّأفةِ، وأنَّهم لا يَقتلون ما فيه رُوحٌ لغيرِ مصلحةٍ).

((تفسير ابن عاشور)) (243/19).

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

أي: وأدخِلْني في الآخرةِ برَحمتِك -لا بعَمَلي- في جملةِ عِبادِك الصَّالحينَ في جَنَّتِك.

سورةُ النَّملِ

الآيات (20–28)

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا
أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ
عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ
إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28)

غَرِيبُ الكَلِمَاتِ:

وَتَفَقَّدَ: التفقُّدُ: تَطَلُّبُ المفقودِ، وكُلُّ شَيءٍ غاب عنك ثم تَتبَّعْتَه طالبًا له قُلْتَ: تَفَقَّدتُه، بُنِيَ على: تفعَّلَ؛ لأنَّه تكلُّفٌ في الطَّلَبِ، وأصلُ (فقد): يدُلُّ على ذَهابِ شَيءٍ وضَياعِه.

بِسُلْطَانٍ: أي: بعُذرٍ وحجةٍ، وأصل (سلط): القوَّةُ والقهرُ.

فَمَكَثَ: أي: انتظَر، والمكثُ: يدُلُّ على ثباتٍ مع انتظارٍ وتوقُّفٍ.

أَحَطتُ: أي: عَلِمتُ، وأصلُ ذلك راجعٌ إلى معنَى الحائطِ؛ لإحاطتِه بما يَدورُ عليه.

عَرْشٌ: أي: العرشُ: سريرٌ وكرسيٌّ للمَلِكِ، وأصلُه يَدُلُّ على ارتفاعٍ في شَيءٍ مَبْنِيٍّ.

الْخَبْءَ: أي: الغائِبَ المستورَ، يُقالُ: خبأتُ الشَّيءَ خبْأً: إذا أخفَيتَه، وأصلُ (خبأ): يدُلُّ على سَترِ الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20).

أي: وتعاهَدَ سُلَيمانُ الطَّيرَ،[32] فقال حينَ لم يَرَ الهدهُدَ:[33] ما لي لا أرى الهُدهُدَ؟ أهو حاضِرٌ فأخطأَه بَصَري، أمْ أنَّه غاب بلا إذْني فلم يَحضُرْ؟!

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21).

---

(32) قيل: ظاهِرُ الآية يفيدُ أنه تفقَّد جميعَ الطَّيرِ.
ومِمَّن قال بذلك: ابن عطية، والسعدي.
يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (255/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 603).
اختُلِف في سبب تفقد سليمان للهدهد وسؤاله عنه؛ فقال قوم: تفقده ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره.
وقال آخرون: لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها.
وقال غيرهم: إنما طلبه لأن الطَّير كانت تُظِلُّهم من الشمس، فأخلَّ الهدهد بمكانه، فطلعت الشمس عليهم من الخلل.
وذكر ابنُ جرير (١٨/ ٣٢) القولين الأولين، ورجح اندراجهما في العموم دون القطع بأحدهما؛ لعدم وجود الدليل القاطع، فقال:
«والله أعلم بأي ذلك كان؛ إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله – ﷺ –؛ فالصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير؛ إمّا للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بعد الماء».
وذكر ابنُ عطية (٦/ ٥٢٨) في الآية أقوالًا أخرى، منها قوله: «قالت فرقة: ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والتهمم بكل جزء منها».
ثم علَّق بقوله: «وظاهر الآية أنه تفقد جميع الطير».
(33) قولُه: مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ قيل: هذا مِن مقلوبِ الكلامِ، أي: ما لِلهُدهدِ لا أراه، وجاز مِثلُ ذلك لوُضوحِ المعنَى، كما تقولُ العربُ: ما لي أراك مكتئبًا، أي: ما لَكَ؟ وقيل: لا حاجةَ إلى ادِّعاءِ القلبِ، بل هو استفهامٌ عن المانعِ له مِن رؤيةِ الهدهدِ، كأنَّه قال: ما لِيَ لا أراه، هل ذلك لساترٍ يستُرُه عنِّي، أو لشَيءٍ آخَرَ؟ يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (449/5)، ((تفسير أبي حيان)) (223/8)، ((تفسير الشوكاني)) (152/4)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 140).

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا.

أي: قال سُلَيمانُ متغيِّظًا: واللهِ لأُعَذِّبَنَّ الهُدهُدَ عذابًا شديدًا؛ لغيابِه بلا إذْنٍ.

أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ.

أي: أو لأقتُلَنَّه.

أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ.

أي: أو[34] ليأتيَنِّي بحُجَّةٍ واضحةٍ تبيِّنُ عُذرَه في غيابِه.

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22).

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ.

أي: فبَقِيَ الهدهُدُ غائبًا زمنًا يَسيرًا، ثمَّ جاء إلى سُلَيمانَ فقال له: عَلِمتُ بشَيءٍ لا تعلَمُه أنتَ![35]

---

(34) قال البقاعي: (أي: لَيكونَنَّ أحَدُ هذه الثلاثةِ الأشياءِ، أو تكونُ أَوْ الثَّانيةُ بمعنى (إلَّا أنْ)، فيكون المعنى: ليكونَنَّ أحَدُ الأمْرَينِ: التَّعذيبُ أو الذَّبحُ، إلَّا أن يأتيَني بِسُلطَانٍ مُبِينٍ أي: حُجَّةٍ واضحةٍ في عُذرِه، فكأنَّه قال: واللهِ لَيُقيمَنَّ عُذرَه، أو لأفعلَنَّ معه أحَدَ الأمْرَينِ).

((نظم الدرر)) (14/149، 150).

(35) ممَّن قال بأنَّ قوله تعالى: فَمَكَثَ عائدٌ على الهدهدِ: البيضاويُّ، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والألوسي، والسعدي، وابن عاشور.

ونسَبَه القرطبيُّ للأكثَرِ.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (4/158)، ((تفسير النسفي)) (2/599)، ((تفسير ابن كثير)) (6/186)، ((تفسير الشوكاني)) (4/153)، ((تفسير الألوسي)) (10/181)، ((تفسير السعدي)) (ص: 604)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/248).

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ.

أي: وأتيتُك مِن بلادِ سَبَأٍ باليمَنِ بخَبَرٍ حقٍّ، وصِدقٍ لا شكَّ فيه.

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23).

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ.

أي: قال الهدهدُ: إنِّي وجدتُ امرأةً تَمِلكُ أهلَ سَبأٍ.[36]

وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

أي: وأُعطِيَتْ هذه المَلِكةُ مِن كلِّ شَيءٍ.[37]

ويُنظر أيضًا: ((تفسير القرطبي)) (13/182).

وقيل: المكثُ هنا عائدٌ على سُلَيمانَ عليه السَّلامُ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، ومكِّي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/37)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8/5393).

قال القرطبيُّ: (الضميرُ في «مكث» يحتملُ أن يكونَ لِسُليمانَ، والمعنى: بقِيَ سُليمانُ بعدَ التفقُّدِ والوعيدِ غيرَ طويلٍ، أي: غيرَ وقتٍ طويلٍ).

((تفسير القرطبي)) (13/180).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 144).

(36) قال ابنُ عطية (٦/ ٥٣١) معلِّقًا على الخلاف في المرأة المذكورة، وما كان من وصفها، فقال: «وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره لعدم صحته، وإنما اللازم من الآية أنها امرأة ملكة على مدائن اليمن، ذات ملك عظيم، وكانت كافرة من قوم كفار».

(37) قال ابن تيميَّةَ: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فإنَّ كلَّ أحدٍ يعلَمُ بعَقلِه أنَّ المرادَ: أُوتيَت مِن جنسِ ما يُؤْتاهُ مِثلُها).

((مجموع الفتاوى)) (6/361).

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ.

أي: وسريرُ مُلكِها الذي تجلِسُ عليه ضَخمٌ، عَظيمُ القَدرِ، بديعٌ، حَسَنُ المنظَرِ.

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24).

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أي: وجَدْتُ هذه المَلِكةَ وقَومَها يَسجُدونَ للشَّمسِ فيَعبُدونَها مِن دونِ اللهِ المستَحِقِّ وَحْدَه للعبادةِ!

وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.

أي: وحسَّن الشَّيطانُ لهؤلاء القَومِ المُشرِكينَ عبادةَ الشَّمسِ وغَيرَها مِن قبائحِ الأعمالِ، فصاروا يظنُّونَها حَسَنةً.

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ.

أي: فصرَفَهم بذلك التَّزيينِ عن اتِّباعِ الطَّريقِ المستقيمِ، فهم لا يَهتَدونَ لطَريقِ الحَقِّ.

وقال ابنُ جُزَي: (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عمومٌ يُرادُ به الخصوصُ فيما يحتاجه الملكُ).

((تفسير ابن جزي)) (101/2).

وقيل: المعنَى: أُوتِيَتْ مِن كلِّ شَيءٍ في زمانِها شيئًا، فحَذَفَ (شيئًا)؛ لأنَّ الكلامَ قد دلَّ عليه.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (153/4).

كما قال تعالى: وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [فصلت: 37].

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25).

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: ألَّايَسجُدوا لله الذي يُخرِجُ المخبوءَ(38) في السَّمواتِ، كالمطَرِ، والمخبوءَ في الأرضِ، كالنَّباتِ والثِّمارِ والكنوزِ والمعادنِ، وكالأمواتِ الذين يُخرِجُهم مِن قُبورِهم.(39)

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

---

(38) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٥٣٣) أن ﴿الخَبْءِ﴾: الخفي من الأمور، وهو مِن: خبأت الشيء.

وأنّ خبء السماء: مطرها.

وخبء الأرض: كنوزها ونباتها.

ثم قال: «واللفظة بعد هذا تَعُمُّ كلَّ خفيّ من الأمور، وبه فسر ابن عباس».

(39) قال القرطبي: (قراءةُ التَّشديدِ في أَلَّا تعطي أنَّ الكلامَ للهدهدِ، وقراءةُ التخفيفِ تمنعُه).

((تفسير القرطبي)) (187/13).

وقال الشوكاني: (وعلى هذه القراءةِ [أي: التشديد] تكونُ جملةُ أَلَّا يَسْجُدُوا معترِضةً مِن كلامِ الهدهدِ، أو مِن كلامِ سليمانَ، أو مِن كلامِ الله سبحانه).

((تفسير الشوكاني)) (155/4).

وقال ابن كثير: (وهذا مناسِبٌ مِن كلامِ الهدهدِ، الَّذي جعَل اللهُ فيه مِن الخاصِّيَّةِ ما ذكَره ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه، مِن أنَّه يَرى الماءَ يجري في تخومِ الأرضِ ودواخِلِها).

((تفسير ابن كثير)) (187/6).

1- قِراءةُ أَلَا يَا بتخفيفِ اللَّامِ، ويجوزُ الوقفُ عليها، والابتداءُ بـ (اسْجُدُوا) بهمزةٍ مضمومةٍ، على أنَّ معنى (ألا) تنبيهٌ واستِفتاحٌ، و (يا) بعدَها حرفُ نداءٍ، أو تنبيهٌ كُرِّر للتَّوكيدِ، و (اسجُدوا) فِعلُ أمرٍ، والمعنى: أَلَا يا هؤلاءِ اسجدُوا. وقيل: هو فعلٌ مضارعٌ حُذِفت منه نونُ الرَّفعِ بلا ناصبٍ ولا جازمٍ، وحذفُها بلا موجبٍ لغةٌ صحيحةٌ.[40]

2- قِراءةُ أَلَّا بتشديدِ اللَّامِ، وجَعْلِ (أن) النَّاصبةِ مُدغَمةً في (لا) النَّافية، ويَسْجُدُوا بالياءِ في أوَّلِها، أي: لئلَّا يَسجُدوا، والمعنى: صَدَّهم الشَّيطانُ عن الهُدى؛ لئلَّا يَسجُدوا لله. وقيل: المعنى: وزيَّن لهم الشَّيطانُ ألَّا يسجُدوا لله. وقيل: (لا) صِلةٌ للتأكيدِ، والمعنى: فصَدَّهم عن السَّبيلِ عدَمُ سُجودِهم لله. أو المعنى: فهُم لا يهتدون لِأَنْ يَسجُدوا لله، أي: للسُّجودِ لله.[41]

وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.

---

(40) قرأ بها الكسائي وأبو جعفر ورويس.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (337/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (41/18)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (598/8)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (112/6- 115).

(41) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (337/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (41/18)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 271)، ((معاني القراءات)) للأزهري (238/2)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (110/6).

أي: ويعلَمُ ما تُضمِرونَه في صُدورِكم، وما تُظهِرونَه مِن أقوالِكم وأفعالِكم.[42]

كما قال تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ [الرعد: 9، 10].

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26).

أي: اللهُ لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا هو وَحْدَه، مالِكُ العَرشِ العَظيمِ الذي لا يُشبِهُه عَرشُ مَلِكةِ سَبأٍ ولا غَيرُه مِن العُروشِ؛ فهذا المَلِكُ العَظيمُ السُّلطانِ هو مَن تنبغي عبادتُه وطاعتُه وَحْدَه.

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27).

أي: قال سُلَيمانُ للهُدهُدِ: سنَنظُرُ في عُذرِك لنعلَمَ هل صدقْتَ فيه فنَعذِرَك، أم أنَّك كاذِبٌ مِنَ الكاذبينَ؟

اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28).

---

(42) قال القرطبي في قولِه تعالى: تُخْفُونَ تُعْلِنُونَ: (قراءةُ العامَّةِ فيهما بياءٍ، وهذه القراءةُ تعطي أنَّ الآيةَ مِن كلامِ الهدهدِ، وأنَّ اللهَ تعالى خصَّه مِن المعرفةِ بتوحيدِه ووجوبِ السُّجودِ له، وإنكارِ سجودِهم للشَّمسِ، وإضافتِه للشَّيطانِ، وتزيينِه لهم، ما خصَّ به غيرَه من الطُّيورِ وسائرِ الحَيوانِ، مِن المعارفِ اللَّطيفةِ الَّتي لا تكادُ العقولُ الرَّاجحةُ تهتدي لها.
وقرأ الجحدري وعيسى بنُ عمر وحفصُ والكِسائيُّ: تُخْفُونَ وتُعْلِنُونَ بالتَّاءِ على الخطابِ، وهذه القراءةُ تعطي أنَّ الآيةَ مِن خطابِ اللهِ عزَّ وجلَّ لأمَّةِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم).
((تفسير القرطبي)) (188/13).

اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ.

أي: قال سُليمانُ للهُدهُدِ: اذهَبْ إلى أهلِ سبأٍ بهذه الرِّسالةِ المكتوبةِ، فارْمِها إليهم.

ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ.

أي: ثمَّ انصرِفْ وتَنَحَّ عنهم إلى موضِعٍ قَريبٍ مِن ملِكةِ سَبأٍ وقَومِها، وانظُرْ جوابَهم وما يتراجَعون به بيْنَهم مِن الكَلامِ.(43)

---

(43) اختلف السلفُ في تفسير قوله: ﴿اذهب بكتابي هذا ... ثم تولّ عنهم﴾ على قولين: الأول: أن معناه: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفًا إليَّ. فهو من المؤخر الذي معناه التقديم.

الثاني: أن معناه: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تول عنهم، فكن قريبًا منهم، وانظر ماذا يرجعون.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٨/ ٤٦) مستندًا إلى الدلالة العقلية القول الثاني، فقال: «وهذا القول أشبه بتأويل الآية؛ لأن مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب، ولم يكن الهدهد لينصرف، وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان».

وبنحوه ابنُ عطية (٦/ ٥٣٤) مستندًا إلى دلالة العقل حيث قال: «واتِّساق رتبة الكلام أظهر، أي: ألقه، ثم تول. وفي خلال ذلك: فانظر، وإنما أراد أن يكل الأمر إلى حكم ما في الكتاب، دون أن يكون للرسول ملازمة، وبلا إلحاح».

سورةُ النَّملِ

الآيات (29-37)

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا
أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا
جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ
(36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ
(37)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الْمَلَأُ: أي: وُجوهُ النَّاسِ وأشرافُهم، والمَلَأُ: جماعةٌ يجتَمِعون على رأيٍ، ويملؤون العيونَ مَنظرًا، والنُّفوسَ بهاءً وجَلالًا، وأصلُه يدُلُّ على: المساواةِ والكَمالِ في الشَّيءِ.

أَفْتُونِي: أي: أجيبوني، وأشيروا عليَّ، ونبئوني ما أفعلُ، والفُتْيَا والفَتْوَى: الجوابُ عمَّا يُشكِلُ مِن الأحكامِ، وأصلُ (فتى) هنا: يدلُّ على تَبْيينِ حكمٍ.

وَأُولُو بَأْسٍ: أي: أصحابُ شِدَّةٍ في الحَربِ، وأصلُ (بأس): يدُلُّ على الشِّدَّةِ وما ضارَعَها.

لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا: أي: لا طاقةَ لهم على استقبالِها ودفاعِها، وأصلُ (قبل): يدُلُّ على مواجهةِ الشَّيءِ للشَّيءِ.

صَاغِرُونَ: أي: عاجِزونَ أذِلَّاءُ، وأصلُ الصِّغرِ: يَدُلُّ على قِلَّةٍ وحقارةٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29).

أي: قالت مَلِكةُ سَبأٍ لأشرافِ قَومِها بعد أن قرأتْ كِتابَ سُلَيمانَ: يا أيُّها الأشرافُ والسَّادةُ، لقد رُميَ إليَّ كتابٌ حَسَنٌ منظرُه، جليلٌ قَدْرُه، شريفٌ كاتِبُه.

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30).

أي: قَرَأت ملِكةُ سَبأٍ الكِتابَ على قَومِها فقالت: إنَّ الكِتابَ مِن سُلَيمانَ، وإنَّه بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.[44]

أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31).

أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ.

أي: ألَّا تتكبَّرُوا وتمتَنِعوا عليَّ، بل اخضَعوا لي، وانقادُوا لِما آمُرُكم به.

---

(44) قال ابن عاشور: (يحتمِلُ أن يكونَ قد تُرجِمَ لها قبل أن تخرُجَ إلى مجلِسِ مَشورتِها، ويحتَمِلُ أن تكونَ عارفةً بالعبرانية، ويحتَمِلُ أن يكونَ الكتابُ مكتوبًا بالعربيَّةِ القَحطانيَّةِ؛ فإنَّ عظمةَ مُلكِ سُــليمانَ لا تخلو من كتَّابٍ عارفينَ بلغاتِ الأُمَمِ المجاورةِ لمملكتِه، وكونُه بلغتِه أظهَرُ وأنسَبُ بشِعارِ الملوكِ، وقد كتب النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ للملوكِ باللُّغةِ العربيَّةِ.

أمَّا الكلامُ المذكورُ في هذه الآية فهو ترجمةُ الكِتابِ إلى اللغةِ العربيةِ الفُصحى بتضمينِ دقائقِه وخصوصيَّاتِ اللُّغةِ التي أنشِئَ بها). ((تفسير ابن عاشور)) (19/258، 259).

وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ.

أي: وأقْبِلوا إليَّ مُنقادين مُذعِنين لله بالوحدانيَّةِ والطاعةِ.(45)

---

(45) قال السمعاني: (وقوله: وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ فيه قَولانِ؛ أحدُهما: هو مِنَ الإسلامِ، والآخَرُ: مِنَ الاستِسلامِ).
((تفسير السمعاني)) (4/94).
ممَّن اختار القولَ الأوَّلَ: ابنُ جرير، والثعلبيُّ، والخازن، والعليمي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/49)، ((تفسير الثعلبي)) (7/206)، ((تفسير الخازن)) (3/345)، ((تفسير العليمي)) (5/132)، ((تفسير أبي السعود)) (6/283)، ((تفسير الشوكاني)) (4/158)، ((تفسير الألوسي)) (10/191)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/260).
وممَّن قال بهذا القولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عبَّاسٍ، وقَتادةُ.
يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/542)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (9/2874)، ((تفسير الماوردي)) (4/207)، ((تفسير ابن كثير)) (6/189).
قال الألوسي: (والدَّعوةُ على الأوَّلِ [أي أنَّ المرادَ: وأْتوني مؤمنينَ] دعوةُ النُّبوَّةِ، وعلى الثَّاني [أي أنَّ المرادَ: وأْتوني مُنقادينَ مُستَسلِمينَ] دعوةُ المُلْكِ.
واللَّائقُ بشأنِه عليه السَّلامُ هو الأوَّلُ).
((تفسير الألوسي)) (10/191).
وقال أبو السعود: (على أنَّ الإيمانَ مستتبعٌ للانقياد حتمًا).
((تفسير أبي السعود)) (6/283).
وقال ابن عاشور: (إطلاقُ اسمِ الإسلامِ على الدينِ يدُلُّ على أنَّ سليمانَ إنما دعا ملِكةَ سبأٍ وقومَها إلى نبذِ الشِّركِ، والاعترافِ للهِ بالإلهية والوحدانية، ولم يدعُهم إلى اتِّباعِ شريعة التوراة؛ لأنَّهم غيرُ مخاطبين بها، وأمَّا دعوتُهم إلى إفراد الله بالعبادةِ والاعترافِ له بالوحدانيةِ في الإلهية؛ فذلك ممَّا خاطب الله به البشَرَ كُلَّهم، وشاع ذلك فيهم من عهدِ آدم ونوح وإبراهيم).
((تفسير ابن عاشور)) (19/260).
وممَّن اختار القولَ الثَّانيَ أي أنَّ المرادَ: وأْتوني مستسلِمينَ: السمرقنديُّ، والبِقاعي، والقاسمي.
يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (2/580)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/158)، ((تفسير القاسمي)) (7/491).
وممَّن قال بهذا القولِ مِنَ السَّلَفِ: الكلبي.
يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/542)، ((تفسير الماوردي)) (4/207)، ((تفسير ابن كثير)) (6/189).
وقال ابن عثيمين: (هل يلزَمُ مِن إتيانِهم مُستسلِمينَ له أن يكونوا مُسلِمين لله؟ لا يلزَمُ، لكِنْ يلزَمُ مِن كونِهم مُسلِمين لله أن يَستسلِموا له، وأن يأتوا مُطيعين غيرَ مُخالِفين).

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32).

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي.

أي: قالت مَلِكةُ سَبَأٍ لأشرافِ قَومِها: يا أيُّها الأشرافُ، أشيروا عليَّ، وبيِّنُوا لي: ماذا أفعَلُ في هذا الأمرِ؟

مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ.

أي: ما كنتُ لأستبدَّ برأيي في أمرٍ عامٍّ ومُهمٍّ، حتى تحضُروا عندي وتُشيروا عليَّ فيه.

قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33).

((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 176).

وممَّن جمَع بيْنَ القولَين: السعديُّ، فقال: (أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ أي: لا تكونوا فوقي، بل اخضَعوا تحت سُلطاني، وانقادُوا لأوامري، وأَقْبِلوا إليَّ مسلمينَ.

وهذا في غايةِ الوجازةِ، مع البيانِ التَّامِّ؛ فإنَّه تضـــمَّنَ نَهْيَهم عن العُلوِّ عليه والبقاءِ على حالِهم التي هم عليها، والانقيادَ لأمرِه، والدُّخولَ تحتَ طاعتِه، ومجيئَهم إليه، ودعوتَهم إلى الإسلامِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 604).

قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ.

أي: قال الأشرافُ الذين استشارَتْهم مَلِكةُ سَبأٍ: نحن أصحابُ قوَّةٍ بالمالِ والرِّجالِ والعَتادِ، وأصحابُ شدَّةٍ وعزمٍ في الحَربِ، فإن شئتِ أن نحارِبَ سُلَيمانَ فلا مانعَ لدينا.

وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ.

أي: وقد فوَّضْنا الرأيَ إليكِ في قتالِ سُلَيمانَ أو مُسالَمتِه، ففكِّري فيما تأمُرِينَنا به، ونحن على استعدادٍ لطاعتِك، وتنفيذِ أوامِرِك.

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34).

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا.

أي: قالت مَلِكةُ سَبأٍ: إنَّ الملوكَ إذا دخلوا مدينةً بالقَهرِ والغَلَبةِ، نَهَبوها وخرَّبوها.(46)

---

(46) قال البقاعي: (قَالَتْ جوابًا لما أحسَّت في جوابِهم مِن مَيلِهم إلى الحَربِ: إنَّ الصوابَ مِن غيرِ ارتيابٍ أن نحتالَ في عدمِ قَصدِ هذا المَلِك المطاعِ، ثمَّ علَّلت هذا الذي أفهَمَه سياقُ كلامِها بقولِها: إِنَّ الْمُلُوكَ أي: مُطلقًا، فكيف بهذا النافِذِ الأمرِ، العظيمِ القَدرِ؟!).

((نظم الدرر)) (14/159، 160).

وقال ابن عثيمين: (والملوكُ إذا دخَلوا قريةً أفسَدوها؛ لأنَّ عندهم من العلُوّ والغَلَبةِ والاستكبارِ ما يُوجِبُ أن يَفتِكوا بأهلِ البلَدِ الذي يدخلونَه، وليس المرادُ هنا بالإفسادِ الإفسادَ المعنويَّ، يعني: بإفسادِ الأخلاقِ مثلًا، المرادُ... الإفسادُ بالتخريبِ).

وَجعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً.

أي: وأهانوا كُبَراءَها وأشرافَها، باستِعبادِهم، أو إذلالِهم بالقَتلِ والأسرِ والنَّفيِ، وغيرِ ذلك من فنونِ الإهانةِ.

وَكَذَلِكَ يفْعَلُونَ.

أي: وتلك عادةُ الملوكِ إذا دخَلوا مدينةً بالقَهرِ والغَلَبةِ: أن يُفسِدوها، ويُذِلُّوا أعزَّةَ أهلِها.

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35).

((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 184).

أي: قالت مَلِكةُ سَبأٍ: وإنِّي باعثةٌ رسُلًا إلى سُلَيمانَ وقَومِه بهديَّةٍ عظيمةٍ،[47] فناظِرةٌ[48] ما سترجِعُ به رسُلي من خبرٍ وحالِ سُليمانَ وقَومِه، وهل يقبَلُ هديَّتَنا ومهادنَتَنا، أو يُصِرُّ على أمرِه بالإتيانِ إليه مُسلِمينَ.[49]

---

(47) رجّح ابنُ كثير (١٠/ ٤٠٥) أنّ ملكة سبأ أرسلت إلى سليمان – عليه السلام – بآنية من ذهب، فقال: «ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة مِن ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك.

وقال بعضهم: أرسلت إليه بلبنة من ذهب.

والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب».

ولم يذكر مستندًا.

اختُلف في الهدية التي بعثت بها بلقيس إلى سـليمان على ما ورد في الآثار، وقد علّق ابنُ كثير (١٠/ ٤٠٦) على ذلك قائلًا:

«أكثره مأخوذ من الاسـرائيليات، والظاهر أن سـليمان – عليه السـلام – لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، بل أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: ﴿أتمدونن بمال﴾».

وقال ابنُ عطية (٦/ ٥٣٧): «فبعثت إليه بِهَدِيَّةٍ عظيمة، أكثر بعض الناس في تفصيلها، فرأيت اختصار ذلك لعدم صحته».

(48) قولها: فَنَاظِرَةٌ يحتملُ أن يكونَ مِنَ النَّظَرِ، يعني: أنظُرُ بعْدَ إرسالِ الهديَّةِ: بِمَ يرجعُ المُرسَلون؟ ويحتملُ أن يكونَ من الانتظار، فَنَاظِرَةٌ أي: فمُنتظِرةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 188).

ممَّن ذهب إلى المعنى الأوَّلِ: ابنُ جرير، والسمرقندي، ومكّي، وابن كثير، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسـير ابن جرير)) (56/18)، ((تفسـير السـمرقندي)) (581/2)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (5423/8)، ((تفسير ابن كثير)) (190/6)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 188).

وممَّن ذهب إلى المعنى الثاني: القرطبيُّ، والنسفي، والقاسمي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (200/13)، ((تفسير النسفي)) (604/2)، ((تفسير القاسمي)) (491/7)، ((تفسير ابن عاشور)) (267/19).

(49) واختُلِف فيما قصَدت بهديتِها؛ فقيل: قصَدت الملاطفةَ والاستنزالَ، ذكره قَتادةُ.

وقيل: قصَـدت اختبارَ نُبوَّتِه مِن مُلكِه، وأنَّها اختبرتْه بالقَبولِ والرَّدِّ، فقالت: إنْ قَبِل الهديَّةَ فهو مَلِكٌ، فقاتِلوه على ملكِكم، وإن لم يقبَلِ الهديَّةَ فهو نبيٌّ، لا طاقةَ لكم بقتالِه، قاله ابنُ عبَّاسٍ وزهيرٌ.

وقيل غيرُ ذلك.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (209/4).

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36).

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ.

أي: فلمَّا وصَلَ وَفدُ مَلِكةِ سَبأٍ إلى سُلَيمانَ بالهَدايا، أنكرَ عليهم عدَمَ مجيئِهم إليه مُسلِمين كما أمَرَهم، وقال لهم مُتغيِّظًا: أتُعطونني مالًا لأترُكَكم على شِركِكم؟!

فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ.

أي: فما أعطانيَ اللهُ من النبُوَّةِ والمُلكِ والأموالِ ونعيمِ الدُّنيا: أفضَلُ مِمَّا أعطاكم.

بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ.

أي: أنا لا أفرَحُ بهديَّتِكم هذه، ولا أقبَلُ منكم إلَّا الإسلامَ، ولكِنْ أنتم الذين تفْرَحونَ بما يُهْدَى إليكم.[50]

(50) قال الرازي: (أمَّا قولُه: بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ففيه ثلاثةُ أوجهٍ؛ أحدُها: أنَّ ... المعنَى أنَّ اللهَ تعالَى آتاني الدِّينَ الَّذي هو السَّعادةُ القُصْوى، وآتاني مِنَ الدُّنيا ما لا مَزيدَ عليه، فكيف يُستمالُ مِثْلي بمِثلِ هذه الهديَّةِ؟! بل أنتم تفرحونَ بما يُهْدَى إليكم، لكنَّ حالي خلافُ حالِكم.
وثانيها: بل أنتم بهديَّتِكم هذه الَّتي أهدَيْتُموها تفرحونَ مِن حيثُ إنَّكم قدَرْتُم على إهداءِ مِثْلِها.
وثالثُها: كأنَّه قال: بل أنتم مِن حَقِّكم أنْ تأخُذوا هديَّتَكم وتَفْرَحوا بها).
((تفسير الرازي)) (555/24).

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37).

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا.

أي: قال سُلَيمانُ لأميرِ الوفدِ: ارجِعْ إلى مَن أرسَلَك بهذه الهَديَّةِ، فإنْ لم يأتُوا إليَّ مُسلِمينَ فسأُرسِلُ إليهم جُنودًا لا طاقةَ لهم بقِتالِهم.

وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ.

أي: ولَنُخرِجَنَّهم من أرضِهم أذلَّاءَ مُهانينَ إنْ لم يأتوني مُسلِمينَ.

ممَّن اختار أنَّ المعنى: بل أنتم تفرحون بالهَديَّةِ الَّتي تُهدى إليكم: مقاتلُ بن سليمان، وابن جرير، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن، والألوسي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (306/3)، ((تفسير ابن جرير)) (58/18)، ((تفسير السمرقندي)) (582/2)، ((الوسيط)) للواحدي (377/3)، ((تفسير السمعاني)) (97/4)، ((تفسير البغوي)) (504/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (362/3)، ((تفسير الخازن)) (346/3)، ((تفسير الألوسي)) (195/10)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 194).

وممَّن اختار أن هذا توبيخٌ لهم بفرحهم بهذه الهَديَّةِ فرَحَ فخرٍ وخُيلاءٍ وامتِنانٍ واعتدادٍ بها: أبو السعود، والشوكانيُّ.

يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (285/6)، ((تفسير الشوكاني)) (159/4).

سورةُ النَّملِ

الآيات (38-44)

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ
الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ
رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ
(40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا
جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42)
وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

عِفْرِيتٌ: العِفريتُ: المارِدُ الشَّديدُ، النَّافِذُ في الأمرِ، المبالِغُ فيه مع خُبثٍ ودَهاءٍ، وأصلُ (عفر) هنا: يدُلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ.

يَرْتَدَّ: أي: يَرجِعُ، والارتِدادُ: الرُّجوعُ.

طَرْفُكَ: أي: بصَرُك ونظرُك، والطَّرْفُ: تحريكُ الجفنِ، وعُبِّرَ به عن النَّظرِ؛ إذ كان تحريكُ الجَفنِ لازِمُه النَّظَرُ.

نَكِّرُوا: أي: غيِّروا، وتَنكيرُ الشَّيءِ: جَعلُه بحيثُ لا يُعرَفُ، وأصلُ (نكر): يدُلُّ على خِلافِ المعرفةِ التي يَسكُنُ إليها القَلبُ.

الصَّرْحَ: أي: القَصْرَ، وكُلُّ بناءٍ عالٍ: فهو صَرحٌ.

لُجَّةً: أي: غَمرةً عَظيمةً مِن ماءٍ، واللُّجَّةُ: الماءُ المجتمعُ كالبحرِ، ولُجَّةُ البحرِ: تردُّدُ أمواجِه، وأصلُه مِنَ اللَّجَجِ: وهو تردُّدُ الشَّيءِ بعضِه على بعضٍ.

مُمَرَّدٌ: أي: مُملَّسٌ، مِن قَولِهم: شَجرةٌ مَرداءُ: إذا لم يكُنْ عليها وَرَقٌ، وأصلُ المرودةِ: المَلاسةُ والاستواءُ.

قَوَارِيرَ: أي: زُجاجٍ.

تفسيرُ الآياتِ:

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38).

أي: قال سُليمانُ لجُلَسائِه الحاضرينَ عِندَه من الجِنِّ والإنسِ: يا أيُّها الأشرافُ، أيُّكم يُحضِرُ لي كرسيَّ المُلْكِ لمِلِكةِ سبأٍ قبل أن تحضُرَ إلينا هي وقَومُها مسلِمينَ؟[51]

قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39).

قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ.

---

(51) اختلف في الحين الذي قال فيه سليمان – عليه السلام – هذه المقالة أكان بعد مجيء الهدية أم قبلها؟ ورجَّحَ ابن عطية (٦/ ٥٣٨) القول الأول الذي قاله وهب بن منبه، والسُّدِّيّ، مستندًا إلى ظاهر الآيات، وبين أن على هذا جمهور المفسرين.

اختلف السلف في السبب الذي مِن أجله أمَرَ أنَ يُؤتى بعرشها قبل أن يأتوا إليه مسلمين على أقوال: الأول: أنّه فعل ذلك لأنه أعجبه، وخشي أن تُسلِم فيَحرُم عليه مالها.

الثاني: أنه فعل ذلك سليمان ليعاتبها به، ويختبر به عقلها، هل تثبته إذا رأته، أم تنكره.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٨/ ٦٥) مستندًا لدلالة العقل أنه فعل ذلك: «ليجعل ذلك حُجَّةً عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلَّفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه مِن خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته».

وعلّق ابنُ عطية (٦/ ٥٣٨) على القول الأول، فقال: «والإسلام على هذا التأويل: الدين».

وعلّق على القول الثاني، فقال: «و﴿مُسْلِمِينَ﴾ في هذا التأويل بمعنى: مستسلمين».

للسلف في تفسير قوله: ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ قولان: الأول: أن معناه: مستسلمين خاضعين.

الثاني: أنه الإسلام الذي هو الدين الحق.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٨/ ٦٥ – ٦٦) مستندًا إلى الدلالة العقلية القول الأول، فقال: «فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ بتأويله؛ فقولُ ابن عباس الذي ذكرناه قبل مِن أن معناه: طائعين.

لأنّ المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه، وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة».

أي: قال ماردٌ قَوِيٌّ وشديدٌ مِن الجِنّ: أنا أُحضِرُ لك عَرْشَها قبل أن تنهَضَ مِن مجلِسِك.

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ.

أي: وإِنّي قَوِيٌّ على حَمْلِ العَرشِ، أمينٌ على ما فيه.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40).

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.

أي: قال الذي عنده[52] علمٌ بكتابِ اللهِ: أنا أُحضِرُ لك العَرشَ قبل أن يَرجِعَ إليك بَصَرُك إذا نظَرْتَ إلى شيءٍ مدَّ بصرِك.[53]

---

(52) قال ابن عطية: (اختلف المفسِّـرون في الذي عندَه عِلمٌ من الكتابِ مَن هو: فجمهورُ النَّاسِ على أنَّه رجلٌ صـالحٌ من بني إسرائيلَ اسمه آصف بن برخيا).

((تفسير ابن عطية)) (261/4).

وقال ابن تيميَّة: (أَتَتْهُ به الملائِكةُ، كذلك ذكره المفسِّـرون عن ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه: أنَّ الملائكةَ أتته به أسـرعَ ممَّا كان يأتي به العِفريتُ).

((النبوات)) (1066/2).

ويُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (363/3).

وقال السَّعدي: (قال المفسِّرون: هو رجلٌ عالمٌ صالحٌ عند سليمانَ يقالُ له: آصف بن برخيا، كان يعرِفُ اسمَ الله الأعظَمَ الذي إذا دعا اللهَ به أجاب، وإذا سأل به أُعطي...

أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ بأن يدعوَ الله بذلك الاسمِ فيَحضُرَ حالًا، وأنَّه دعا اللهَ فحضرَ).

((تفسير السعدي)) (ص: 605).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (69/18، 70).

قال أبو حيان بعد أن ذكر الخلافَ في اسمِه: (وهذه أقوالٌ مضـطربةٌ، وقد أبهَم اللهُ اسمَه، فكان ينبغي ألَّا يُذكرَ اسمُه حتَّى يُخبِرَ به نبيٌّ).

((تفسير أبي حيان)) (240/8).

(53) اختلف السلف فيما عنى الله بقوله: ﴿قبل أن يرتد إليك طرفك﴾؛ فقال بعضهم: قبل أن يصل إليك مَن كان مِنك على مدِّ البصر.

وقال آخرون: مِن قبل أن يبلغ طَرْفُك مداه وغايته.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٨/ ٧٣) مستندًا إلى الدلالة العقلية القول الأول بقوله: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قولُ مَن قال: قبل أن يرجع إليك طرفُك مِن أقصى أثره.

وذلك أنّ معنى قوله: ﴿يرتد إليك﴾: يرجع إليك، والبصر إذا فُتحت العين غير راجع، بل إنّما يمتدُّ ماضيًا إلى أن يتناهى ما امتدُّ نوره.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد﴾؛ لم يكن لنا أن نقول: إنه قال: أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعًا ﴿إليك طرفك﴾ مِن عند منتهاه».

فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ.

يُنظر: ((تفسـير ابن جرير)) (18/68، 73)، ((معاني القرآن)) للزجاج (4/121)، ((تفسـير ابن عطية)) (4/260، 261)، ((تفسير ابن جزي)) (2/102)، ((تفسير ابن كثير)) (6/192).

ممَّن اختار في الجملةِ أنَّ المعنى: قبْلَ أن يَرجِعَ بصرُك إذا نظرتَ إلى شَيءٍ مدَّ بصرِك: ابنُ جرير، والرسعني، وابن جُزَي، وابن كثير، وجلال الدين المحلي، والبقاعي، وابن عاشور، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/73)، ((تفسير الرسعني)) (5/471)، ((تفسير ابن جزي)) (2/102)، ((تفسير ابن كثير)) (6/192)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 499)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/165)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/271)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 215).

قال ابن عاشور: (وارتِدادُ الطَّرْفِ حقيقتُه: رُجوعُ تحديقِ العَينِ مِن جِهةٍ منظورةٍ تَحُوّلَ عنها لحظةً).

((تفسير ابن عاشور)) (19/271).

وقال البيضاوي: (الطَّرفُ: تحريكُ الأجفانِ للنظَّرِ، فوُضِع مَوضعَه، ولَمَّا كان الناظرُ يوصَفُ بإرسالِ الطَّرفِ... وُصِف بِرَدِّ الطَّرفِ، والطَّرْفُ بالارتدادِ، والمعنى: أنَّك تُرسِلُ طَرْفَك نحوَ شَيءٍ فقَبْلَ أن تَرُدَّه أُحضِرُ عرشَها بيْنَ يدَيْك، وهذا غايةٌ في الإسراعِ، ومَثَلٌ فيه).

((تفسير البيضاوي)) (4/161).

وقيل: الطَّرفُ: تحريكُ الأجفانِ وفتحُها للنَّظرِ إلى شَيءٍ، وارتدادُه: انضمامُها.

وممَّن اختاره: أبو السعود، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (6/287)، ((تفسير الشوكاني)) (4/161).

وقيل: قولُه: قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ معناه: قبل أن يَنتهيَ إليك الذي وقَع عليه مُنتهى بصَـرِك وهو جاءٍ إليك، وبعبارةٍ أخرى: قبْلَ أن يَصِلَ إليك مَن كان منك على مَدِّ بصرِك.

وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقندي، ومكِّي، وابن أبي زمنين.

يُنظر: ((تفسـير مقاتل بن سـليمان)) (3/307)، ((تفسـير السـمرقندي)) (2/583)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8/5433)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (3/302).

قال ابن الجوزي: (وفي قوله تعالى: قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ أربعةُ أقوالٍ؛ أحدُها: قبْلَ أن يأتيَك أقصى ما تنظُرُ إليه، قاله سعيد بن جُبَير.

والثاني: قبل أن ينتهيَ طَرْفُك إذا مدَدْتَه إلى مداه، قاله وَهْبٌ.

والثَّالث: قبْلَ أن يرتَدَّ طَرْفُك حسيرًا إذا أدمْتَ النَّظرَ، قاله مجاهد.

والرَّابع: بمقدارِ ما تفتحُ عَيْنَك ثمَّ تَطرِفُ، قاله الزَّجَّاجُ).

((تفسير ابن الجوزي)) (3/363).

أي: فأتى العرشُ بقُدرةِ اللهِ، فلمَّا رآه سُلَيمانُ ثابتًا ثُبوتًا حقيقيًّا بينَ يدَيه، قال: هذا التمَكُّنُ والمُلكُ والسُّلطانُ الذي أنا فيه حتى حُمِلَ إليَّ العَرشُ في قَدْرِ ارتدادِ الطَّرفِ- مِن عَطاءِ رَبِّي عليَّ؛ لِيَختبِرَني أأشكُرُ نِعمَتَه، أم أكفُرُها فلا أشكُرُه.

وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ.

أي: ومَن شَكَرَ نعمةَ اللهِ عليه فإنَّما ينفَعُ نَفسَه في دُنياه وآخِرتِه.

كما قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: 97].

وقال سُبحانَه: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [الروم: 44، 45].

وقال عز وجل: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ [فصلت: 46].

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ.

أي: ومن كَفَرَ نِعمةَ اللهِ عليه ولم يَشكُرْ، فإنَّ ربِّي غَنِيٌّ عن شُكرِه، ولا حاجةَ به إليه، كريمٌ في نفسِه وإن لم يُعبَدْ، فعظَمتُه لا تفتَقِرُ إلى أحدٍ؛ ومُتفضِّلٌ بإنعامِه على جميعِ خَلقِه حتَّى على مَن يكفُرُ به.

كما قال تعالى: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: 176].

وقال سُبحانَه: وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ [إبراهيم: 8].

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)

أي: قال سُلَيمانُ: غيِّروا مَعالِمَ وهيئةَ عَرْشِ ملِكةِ سَبَأٍ؛ لِنَنظُرَ: أتعرِفُ أنَّه عَرشُها أم تكونُ مِن الذين لا يَعرِفون أنَّه هو؟[54]

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42).

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ.

---

(54) قال ابن جُزَي: (أَتَهْتَدِي يحتملُ أن يريدَ: تهتدي لمعرفةِ عرشِها، أو للجوابِ عنه إذا سُئلَتْ، أو للإيمانِ). ((تفسير ابن جزي)) (102/2).

وقال الرازي: (واختلفوا في أَتَهْتَدِي على وجهَينِ؛ أحدهما: أتَعرِفُ أنَّه عرشُها أمْ لا؟ ...

الثَّاني: أتَعرِفُ به نُبُوَّةَ سُـــلَيمانَ أمْ لا؛ ولذلك قال: أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ، وذلك كالذَّمِّ، ولا يليقُ إلَّا بطريقةِ الدَّلالةِ، فكأنَّه عليه السَّـلامُ أحَبَّ أن تنظُرَ فتَعرِفَ به نُبوَّتَه مِن حيث صـار متنقلًا مِن المكانِ البعيدِ إلى هناك، وذلك يدُلُّ على قدرةِ اللهِ تعالى، وعلى صِدقِ سُلَيمانَ عليه السَّلامُ، ويَعرِف بذلك أيضًا فضلَ عقلِها؛ لأغراضٍ كانت له، فعندَ ذلك سألها). ((تفسير الرازي)) (558/24).

أي: فلمَّا جاءت مَلِكةُ سَبَأٍ إلى سُلَيمانَ، ورأت عَرْشَها بعدَ تغييرِه، قيلَ لها: هل عرشُكِ الذي تركتِهِ في بلادِك مِثلُ هذا العَرشِ الذي رأيتِهِ؟!

قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ.

أي: قالت مَلِكةُ سَبَأٍ: هذا العَرشُ يُشبِهُ جِدًّا عرشي الذي تركتُه في بلادي!

وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ.

أي: قال سُلَيمانُ: وآتانا اللهُ العِلمَ مِن قَبلِ مَلِكةِ سَبَأٍ، وكنَّا طائِعين ومُنقادِين له سُبحانَه.(55)

---

(55) قيل: قائلُ ذلك هو سليمانُ عليه السَّلامُ.

وممَّن ذهب إلى هذا: ابن جرير، والسمرقندي، والسمعاني، والزمخشري، وابن جزي، وابن كثير، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: المصادر السابقة.

وذهب إليه أيضًا مقاتلُ بنُ سليمان، يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/308).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: مجاهدٌ، وزهيرُ بنُ محمد.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (9/2892)، ((تفسير ابن جرير)) (18/79).

قيل: المرادُ بالعلمِ هنا: العِلمُ بالله وبقدرتِه على فِعلِ ما يَشاءُ.

وممَّن قال بذلك في الجملة: ابنُ جرير، ومكي، والشوكاني، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/78)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8/5435)، ((تفسير الشوكاني)) (4/163)، ((تفسير القاسمي)) (7/493).

وقيل: المعنى: عَلِمْنَا حالَها وأمْرَها وحالَ عَرشِها قبل أن تعلَمَ.

وممَّن قال بذلك: السمعاني.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/101).

وقيل: العِلمُ هنا: يشمَلُ العلمَ الشرعيَّ، ويشمَلُ العلمَ بقواعدِ المُلْكِ ومثَبِّتاتِه، وما أشبَهَ ذلك.

وممَّن قال بذلك: ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 235).

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43).

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أي: ومنَع مِلكةَ سَبَأٍ عن الإسلامِ عبادتُها الشَّمسَ مِن دونِ اللهِ![56]

وقال ابن عاشور: (معنى: مِنْ قَبْلِهَا إنْ حُمِلَ على ظاهِرِه أنَّ قومَهم بني إسرائيلَ كانوا أسبَقَ في معرفةِ الحِكمةِ وحضارةِ المُلْكِ من أهلِ سبأٍ؛ لأنَّ الحِكمةَ ظهَرت في بني إسرائيلَ مِن عَهدِ موسى؛ فقد سَنَّ لهم الشريعةَ، وأقام لهم نظامَ الجماعةِ، وعَلَّمَهم أسلوبَ الحضارةِ بتَخطيطِ رُسومِ مَساكِنِهم وملابِسِهم، ونظامِ الجَيشِ والحَربِ، والمواسِمِ والمحافِلِ.

ثم أخذَ ذلك يرتقي إلى أن بلغ غايةً بعيدةً في مُدَّةِ سُلَيمان- فبهذا الاعتبارِ كان بنو إسرائيلَ أسبَقَ إلى علمِ الحِكمةِ قَبلَ أهلِ سبأٍ؛ وإن أريدَ بـــ مِنْ قَبْلِهَا القبليَّةُ الاعتباريَّةُ، وهي الفَضلُ والتفوُّقُ في المزايا -وهو الأليقُ بالمعنى- كان المعنى: إنَّا أوسَعُ وأقوى منها عِلمًا...

فكان الأرجَحُ أن يكونَ معنى مِنْ قَبْلِهَا أنَّا فائتوها في العِلمِ، وبالِغون ما لم تبلُغْه.

وزادوا في إظهارِ فَضلِهم عليها بذِكرِ الناحيةِ الدينيةِ، أي: وَكُنَّا مُسْلِمِينَ دونَها).

((تفسير ابن عاشور)) (274/19).

وذهب الواحدي، وأبو السعود، وجوَّزه الزمخشري، وذكره السعدي احتِمالًا: إلى أن هذا من قَولِ المِلكة، أي: قالت: وأُوتينا العِلمَ بالله وقُدرتِه وصِحَّةِ نبوَّةِ سليمانَ مِن قبْلِ هذه الآيةِ التي رأيْناها في إحضارِ العَرشِ، وكنَّا مُنقادينَ له قبلَ مجيئِنا.

يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 804)، ((تفسير أبي السعود)) (288/6)، ((تفسير الزمخشري)) (369/3، 370)، ((تفسير السعدي)) (ص: 605).

وجوَّز ابنُ عاشور أنَّ هذا مِن قولِ الملأِ مِن بني إسرائيلَ مِن قَومِ سُليمانَ، أي: قال بعضُهم لبعضٍ: أُوتينا العِلمَ والحِكمةَ من قبْلِ أهلِ سبأٍ بما هو أكثَرُ ممَّا أُوتوا، وكنَّا مُسلمينَ لله دونهم.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (273/19، 274).

وذهب الزمخشريُّ وابن جُزَي إلى أنَّ هذا مِن كلامِ سليمان وملَئِه.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (369/3)، ((تفسير ابن جزي)) (103/2).

(56) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٥٤٢) أنّ قوله تعالى: ﴿وصَدَّها﴾ الآية، يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون من قول الله تعالى إخبارًا لمحمد - ﷺ -.

الثاني: أن يكون من قول سليمان - عليه السلام -.

وهو قول مقاتل.

إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ.

أي: لأنَّها كانت مِن قَومٍ راسِخينَ في الكُفرِ باللهِ، فنشَأتْ بينَهم على الشِّركِ باللهِ سبحانَه، وقلَّدَتْهم في دينِهم.

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44).

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ.

أي: قيل لِملِكةِ سَبَأٍ: ادخُلي هذا البِناءَ المُرتَفِعَ.

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا.

أي: فلمَّا رأَتْه المِلكةُ -وهو مبنيٌّ بالزُّجاجِ وتحتَه ماءٌ- حَسِبَتْه ماءً، وأظهَرت ساقَيها حتى تخوضَ في الماءِ مِن غيرِ أن تبتلَّ ثيابُها.

قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ.

أي: قال سُلَيمانُ لها: هذا الذي حَسِبْتِه لجَّةً إنَّما هو بناءٌ مملَّسٌ مبنيٌّ من زُجاجٍ.

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي.

أي: قالت مِلكةُ سبأٍ: ربِّ إنِّي ظَلَمتُ نفسي بعبادةِ غَيرِك، والسُّجودِ للشَّمسِ مِن دونِك.

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: وأذعنتُ وانقدْتُ واستسلمْتُ مع سُلَيمانَ، طائعةً لله تعالى، متابِعةً لسُلَيمانَ ومُقتَدِيةً به في عبادةِ اللهِ وَحدَه لا شريكَ له، خالِقِ كُلّ شَيءٍ ومالِكِه ومدبِّره.

سورةُ النَّملِ

الآيات (45-53)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45) قَالَ يَا
قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) قَالُوا
اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ
بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ (53)

غَريبُ الكَلِماتِ:

اطَّيَّرْنَا: أي: تَطَيَّرنا وتشاءَمْنا، وأَصْلُه: التَّفاؤُلُ بالطَّيْرِ، ثمَّ استُعمِلَ في كلِّ ما يُتفاءَلُ به ويُتشاءَمُ، واشتِقاقُه مِنَ الطَّيرِ، كالغُرابِ وما أشبَهَه.

طَائِرُكُمْ: أي: شُؤمُكم وحَظُّكم مِنَ الشَّرِّ.

تُفْتَنُونَ: أي: تُبتَلَوْن وتُختبَرون، وأصلُ الفَتْنِ: إدخالُ الذَّهَبِ النَّارَ لتظهَرَ جودتُه مِن رداءتِه.

رَهْطٍ: أي: أنفُسٍ، والرَّهْطُ: الجماعةُ والعِصابةُ دُونَ العَشَرةِ، وقيل: ما فوقَ العَشَرةِ إلى الأربعينَ، وأصْلُه: يدُلُّ على تجمُّعٍ في النَّاسِ وغَيرِهم.

تَقَاسَمُوا: أي: تحالَفُوا باللهِ، وحلفَ بعضُهم لبعضٍ، وأصلُه مِنَ القَسامةِ، وهي أيمانٌ تُقْسَمُ على أولياءِ المقتولِ، ثمَّ صار اسمًا لكلِّ حَلِفٍ.

لَنُبَيِّتَنَّهُ: أي: لَنَقْتُلَنَّهم ليلًا، والتَّبييتُ يُقالُ لكلِّ فِعلٍ دُبِّرَ باللَّيلِ.

مَهْلِكَ: أي: إهلاكَهم ومَوتَهم، وأصلُ الهلاكِ: السُّقوطُ.

وَمَكَرُوا مَكْرًا: المكرُ: صرْفُ الغيرِ عمَّا يَقصِدُه بحيلةٍ، أو: إيصالُ الشَّرِّ إلى الغيرِ بطريقٍ خفيٍّ، وأصلُ المكرِ: الاحتيالُ والخِداعُ.

دَمَّرْنَاهُمْ: أي: أهْلَكْناهم، وأخَذْناهم بعقوبتِنا إيَّاهم، والتَّدميرُ: إدخالُ الهلاكِ على الشَّيءِ.

خَاوِيَةً: أي: خَرابًا خالِيةً قد سقَط بَعضُها على بَعضٍ، وأصلُ الخَواءِ: الخَلاءُ والسُّقوطُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ.

أي: ولقد أرسَلْنا إلى قبيلةِ ثمودَ أخاهم في النَّسَبِ صالِحًا، فأمَرَهم بعبادةِ اللهِ وحْدَه لا شَريكَ له.

كما قال تعالى: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [هود: 61].

فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ.

أي: فإذا قومُ صالِحٍ فَريقانِ: مُؤمِنون وكافِرون، يختَصِمون في الدِّينِ، وكلٌّ يقولُ بأنَّ الحقَّ معه.

كما قال تعالى: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ [الأعراف: 75، 76].

قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46).

قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ.

أي: قال صالحٌ: يا قومِ، لأيِّ شيءٍ تَطلُبونَ عذابَ اللهِ، ولا تَطلُبونَ رحمتَه؟![57]

لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

أي: قال صالحٌ لِقَومِه: هلَّا تَطلُبونَ مِن اللهِ أن يغفِرَ لكم كُفرَكم ومعاصيَكم؛ كي يرحَمَكم؟[58]

---

(57) قال القرطبي: (قالَ مُجاهِدٌ: بالعذابِ قبلَ الرَّحمةِ، المعنى: لِمَ تؤخِّرون الإيمانَ الذي يجلِبُ إليكم الثَّوابَ، وتقدِّمون الكفرَ الذي يوجِبُ العقابَ؟! فكان الكفَّارُ يقولون؛ لفرطِ الإنكارِ: ايتِنا بالعذابِ).

((تفسير القرطبي)) (214/13).

وقال السعدي: (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ أي: لِمَ تبادِرونَ فِعلَ السَّيِّئاتِ وتحرِصون عليها قبلَ فِعلِ الحسَناتِ التي بها تحسُنُ أحوالُكم وتصلحُ أمورُكم الدِّينيَّةُ والدُّنيويَّةُ؟! والحالُ أنَّه لا مُوجِبَ لكم إلى الذَّهابِ لفِعلِ السَّيِّئاتِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 606).

وقال ابنُ عطيَّةَ: (إنَّ صالحًا تلَطَّف بقومِه وترَفَّقَ بهم في الخِطابِ، فوقَفَهم على خطيئتِهم في استِعجالِ العذابِ قبلَ الرَّحمةِ، والمعصيةِ لله تعالى قبلَ الطَّاعةِ، وفي أن يكونَ اقتِراحُهم وطلبُهم يقتضي هلاكَهم).

((تفسير ابن عطية)) (263/4).

وذكر ابن عثيمين أنَّ الاستعجالَ على نوعَينِ: أحدُهما: استعجالٌ بالقَولِ؛ بأنْ يقولوا: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [العنكبوت: 29]، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ [الأنفال: 32] .

والثاني: استعجالٌ بالفِعلِ والحالِ؛ بأنْ يَسلُكوا مسلَكًا يكونُ به العذابُ، وذلك بالمعاصي؛ فإنَّ المعصيةَ استعجالٌ بالعذابِ بلا شكٍّ.

فالاستعجالُ يكونُ بقالِ الإنسانِ وحالِه.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 260).

(58) قال البقاعي: (لَوْلَا أي: هلَّا، ولِمَ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ أي: تطلُبونَ غُفرانَ الَّذي له صِفاتُ الكمالِ لذُنوبِكم السَّالفةِ، بالرُّجوعِ إليه بالتوبةِ بإخلاصِ العبادةِ له لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أي: لِتَكونوا على رجاءٍ مِن أن تُعامَلوا مِن كُلِّ مَن فيه خيرٌ معاملةَ المرحومِ؛ بإعطاءِ الخيرِ، والحمايةِ مِنَ الشَّرِّ).

((نظم الدرر)) (175/14).

وقال السمعاني: (والاستغفارُ هاهنا بمعنَى التَّوبةِ).

((تفسير السمعاني)) (103/4).

قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47).

قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ.

أي: قال مُشرِكو ثمودَ لنبيِّهم صالحٍ: تشاءَمْنا بك وبمَن معك مِنَ المؤمِنينَ؛ فنحن تُصيبُنا المصائِبُ والمكارِهُ بسَبَبِكم!

قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

أي: فقال صالحٌ لِقَومِه: ما يُصيبُكم مِن مكروهٍ فإنَّما جاءَكم مِن عندِ اللهِ وحْدَه، ووقَعَ عليكم بإذنِه؛ بسَبَبِ ذُنوبِكم.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ.

أي: بل أنتم قَومٌ يختبِرُكم ربُّكم بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والخيرِ والشَّرِّ.

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48).

أي: وكان في مدينةِ ثمودَ تِسعةُ أنفُسٍ يُفسِدونَ في الأرضِ بالكُفرِ والمعاصي، ولا يُصلِحونَ فيها بوجهٍ مِن الوجوهِ.

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49).

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ.

أي: قال التِّسعةُ المُفسِدون في الأرضِ بعضُهم لبعضٍ: تحالَفوا باللهِ وتعاهَدوا على اغتيالِ صالحٍ وأهلِه ليلًا.[59]

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ.

أي: ثمَّ بعدَ أن نقتُلَ صالحًا وأهلَه خُفيةً نقولُ لِقَريبِ صالحٍ الذي له حَقُّ المطالَبةِ بدَمِه: ما حضَرْنا هلاكَ صالحٍ وأهلِ بيتِه، وإنَّا لَصادِقون في ذلك!

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50).

أي: ودبَّر التِّسعةُ المفسِدونَ تدبيرًا لِقَتلِ صالحٍ وأهلِه، ومَكَرْنا بهم مكرًا أعظَمَ مِن مَكْرِهم، وهم لا يَعلَمونَ كيفيَّةَ تدبيرِنا إهلاكَهم.

ثم شرَع تعالى في بَيانِ ما ترَتَّبَ على ما بَاشرُوه مِنَ المكْرِ، فقال:

---

(59) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٥٤٥ – ٥٤٦) في قوله تعالى: ﴿تقاسموا﴾ احتمالين، فقال: «وقوله: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ حكى الطبري أنه يجوز أن يكون فعلًا ماضيًا في موضع الحال، كأنه قال: متقاسمين، أي: متحالفين بالله، وكأن قولهم ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ حلفٌ. ويؤيد هذا التأويل أنّ في قراءة عبد الله: (ولا يُصْلِحُونَ * تقاسَمُوا) بسقوط: ﴿قالُوا﴾.

ويحتمل –وهو تأويل الجمهور–: أن يكون ﴿تقاسَمُوا﴾ فعل أمر، أشار بعضهم على بعض بأن يتحالفوا على هذا الفعل بصالح، فـ ﴿تقاسَمُوا﴾ هو قولهم على هذا التأويل، وهذه الألفاظ الدالة على قسم أو حلف تجاوب باللام، وإن لم يتقدم قسم ظاهر؛ فاللام في ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ جواب ذلك».

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51).

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ.

أي: فانظُرْ –يا محمَّدُ– كيف كان آخِرُ أمرِ مَكرِ المُفسِدينَ مِن قَومِ صالحٍ حينَ أرادوا قَتْلَه وأهلِه.

كما قال تعالى: فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ [الأعراف: 84].

وقال سُبحانَه: فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [الأعراف: 103].

وقال عزَّ وجلَّ: فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [يونس: 39].

وقال تبارك وتعالى: فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [الزخرف: 25].

أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ.

أي: كان عاقِبةُ مَكرِ المُفسِدينَ مِن قومِ صالحٍ أنَّا أهلَكْناهم وأهلَكْنا جميعَ قَومِهم المُشرِكينَ.

كما قال تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ [الحجر: 83].

وقال سُبحانَه: فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا [الشمس: 14].

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52).

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا.

أي: فتلك مَساكِنُ ثمودَ قد صارت خَرابًا خاليةً مِن أهلِها؛ بسَبَبِ ظُلمِهم أنفُسَهم بشِركِهم وتكذيبِ رَسولِهم، وقَتْلِهم ناقةَ اللهِ.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

أي: إنَّ في ذلك لَعِبرةً وعِظةً ودَلالةً على الحَقِّ لِمَن يَعلَمونَ قُدرةَ اللهِ وحِكمَتَه وغيرَ ذلك مِنَ الحقائِقِ.

كما قال تعالى عنهم: فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [الشعراء: 158].

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53).

أي: وأنجَيْنا مِن سَخَطِنا وعَذابِنا صالِحًا والمؤمِنينَ به مِن قَومِه، الَّذين كانوا يَتَّقون سَخَطَ اللهِ وعذابَه، فيَتجنَّبونَ الشِّركَ والمعاصيَ، ويَعمَلونَ بطاعةِ اللهِ تعالى ويخافونَه.

كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ [هود: 66 – 68].

سورةُ النَّملِ

الآيات (54-58)

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الْفَاحِشَةَ: أي: الفَعلةَ القَبيحةَ الشَّنيعةَ، وهي إتيانُ الذُّكورِ، وأصلُ (فحش): يدُلُّ على قُبحٍ في شَيءٍ وشَناعةٍ.

الْغَابِرِينَ: أي: الباقينَ في عذابِ اللهِ، والغابرُ مِن الأضْدادِ؛ يُقالُ: غابرٌ للباقي، وغابرٌ للماضي، وأصلُ (غبر) هنا: يدُلُّ على البَقاءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54).

أي: واذكُرْ لُوطًا حينَ قال لِقَومِه: أتفعَلونَ الفَعلةَ المتناهِيةَ في القُبحِ، والخطيئةَ الفَظيعةَ الشَّنيعةَ-وهي إتيانُ الذُّكورِ في أدبارِهم- والحالُ أنَّكم تُبصِرونَ؟!

كما قال تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ [العنكبوت: 28].

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55).

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ.

أي: قال لُوطٌ لِقَومِه: أئِنَّكم لَتَأتونَ الذُّكورَ في أدبارِهم؛ لأجْلِ الشَّهوةِ، وتَترُكونَ إتيانَ فروجِ النِّساءِ الَّتي أحَلَّها اللهُ لكم؟!

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ.

أي: بل أنتم قومٌ سُفَهاءُ جَهَلَةٌ، مُتجاوِزونَ لحُدودِ الله، مُتجرِّئُون على محارِمِه.

كما قال تعالى: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [الشعراء: 165، 166].

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56).

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ.

أي: فلمْ يكُنْ لِقَومِ لُوطٍ جَوابٌ ولا حُجَّةٌ حينَ أنكَرَ عليهم فِعلَ الفاحِشةِ إلَّا أن قال بعضُهم لبعضٍ: أخرِجوا لوطًا وأهلَ بَيتِه مِن قَريتِكم.

إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ.

أي: أخرِجوهم؛ لأنَّ لوطًا وأهلَ بيتِه أُناسٌ يَتنزَّهون عمَّا نفعلُه مِن إتيانِ الرِّجالِ في أدبارهم؛ فلا ينبغي أن يُقيموا في بلادِكم!

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57).

أي: فأنجَينا لوطًا وأهلَ بيتِه مِن أنْ يَصِلوا إليهم بأذًى، أو يَلحقَهم شَيءٌ مِن عذابِنا، إلَّا امرأتَه الكافِرةَ، قَضَيْنا أنَّها مِنَ الباقينَ في العذابِ؛ لتَهلِكَ مع قَومِها.

كما قال تعالى: فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ [الشعراء: 170 - 172].

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58).

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا.

أي: وأمطَرْنا على قَومِ لوطٍ مَطَرًا مِن حِجارةٍ.(60)

كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود: 82، 83].

وقال سُبحانه: قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الذاريات: 32 – 36].

فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ.

أي: فبِئسَ المطَرُ هذا الذي أمطَرْناه على قَومِ لُوطٍ الَّذين أنذَرَهم نبيُّهم عذابَ اللهِ، فعَصَوه وكذَّبوه!

---

(60) قال ابنُ عطية (٦/ ٥٤٨): «هذه الآية أصل لِمَن جعل مِن الفقهاء الرجم في اللوطية، وبها تأنّس؛ لأن الله تعالى عذبهم على كفرهم به، وأرسل عليهم الحجارة لمعصيتهم، ولم يقس هذا القول على الزنا فيعتبر الإحصان.
بل قال مالك وغيره: يرجمان في اللوطية أحْصنا أو لم يحْصنا.
وإنما ورد عن النبي – ﷺ –: «اقتلوا الفاعل، والمفعول به».
فذهب مَن ذهب إلى رجمهما بهذه الآية».

سورةُ النَّملِ

الآيات (59–64)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
(61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ
قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ
يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

اصْطَفَى: أي: اختارَ، واجتبَى، وأصلُ (صفو): خلوصُ الشَّيءِ مِن كلِّ شَوبٍ.

حَدَائِقَ: أي: بساتينَ، وقيل: بساتين نخلٍ، واحدُها: حديقةٌ، والحديقةُ كلُّ بستانٍ عليه حائطٌ، وقيل: هي قطعةٌ مِن الأرضِ ذاتُ ماءٍ، سُمِّيت تشبيهًا بحدقةِ العينِ في الهيئةِ، وحصولِ الماءِ فيها، وأصلُ (حدق): الشَّيءُ يحيطُ بشَيءٍ.

ذَاتَ بَهْجَةٍ: أي: ذاتَ حسنٍ، والبهجةُ: حُسنُ اللونِ، وظُهورُ السُّرورِ، وأصلُ (بهج): سرورٌ ونضرةٌ.

يَعْدِلُونَ: أي: يَعدِلونَ عن الحقِّ ويَجورونَ عليه ويتكبَّرونَ -مِن قولِهم: عَدَل عن الحقِّ: إذا جارَ-، أو: يَعدِلونَ باللهِ غيرَه، أي: يجعلونَ له عديلًا، ومثيلًا، وشريكًا، والعدالةُ: لفظٌ يَقتضي معنى المساواةِ، وأصلُ (عدل): يدُلُّ على استواءٍ.

قَرَارًا: أي: مستقَرًّا، وسكنًا، وأصلُ (قرر) هنا: يدُلُّ على التَّمكُّنِ.

خِلَالَهَا: أي: فيما بيْنَها، ووسطَها، وخِلالُ الشَّيءِ: مُنْفرَجُ ما بيْنَ أجزائِه، والخَلَلُ: فُرجةٌ بينَ الشَّيئينِ، وأصلُ (خلل): يرجِعُ إمَّا إلى دِقَّةٍ أو فُرْجةٍ.

رَوَاسِيَ: أي: جبالًا ثوابتَ، وأصلُ (رسي): يدُلُّ على ثباتٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59).

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ: جميعُ المحامِدِ يَستحِقُّها اللهُ تعالى وَحْدَه؛ لكَمالِ أفعالِه وصِفاتِه، وعظيمِ نِعَمِه وهِباتِه؛ ومِن جُملةِ ذلك إهلاكُ أعدائِه المكذِّبين للرُّسُلِ.

وسَلامٌ مِن اللهِ على عِبادِه الَّذينَ اصْطَفاهم[61] ونجَّاهم مِن العَذابِ، وسلَّمَهم مِن العُيوبِ، والإصرارِ على الذُّنوبِ.

---

(61) ختُلِف في المراد بالعباد في قوله تعالى: ﴿عباده الذين اصطفى﴾ على ثلاثة أقوال: أولها: أنهم الأنبياء والمرسلون.

وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومقاتل.

والثاني: أنهم أصحاب النبي – رضي الله عنهم –.

وهو قول ابن عباس، وسفيان الثوري.

والثالث: أنهم الأنبياء والمؤمنون.

وهو قول يحيى بن سلام.

وذَهَبَ ابنُ جرير (١٨/ ٩٨) مستندًا لأقوال السلف إلى القول الثاني، ولم يذكر قولًا غيره.

وهو الظاهر من كلام ابن تيمية (٥/ ٦٥).

ويفهم من كلام ابن عطية (٦/ ٥٤٩) مَيله إلى القول الثالث مستندًا للعموم؛ حيث قال: «هذا ابتداء تقرير و[تنبيه] لقريش، وهو بَعْدُ يعمُّ كلَّ مكلَّف من الناس جميعًا، وافتتح ذلك بالقول بحمده وتمجيده، وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوَّة والإيمان، فهذا اللفظ عام لجميعهم من بني آدم، وكأن هذا صدر خطبة للتقرير المذكور».

ومالَ ابنُ كثير (١٠/ ٤١٩) إلى القول الأول، ولم يذكر مستندًا، ثم قال جامعًا بين القولين الأول والثاني: «لا منافاة؛ فإنهم إذا كانوا من عباده الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أنّ الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه –بعد ما ذكر لهم

كما قال تعالى: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الصافات: 180 – 182].

وقال سُبحانَه: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ [فاطر: 32 – 35].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنَّا إذا صلَّينا خَلْفَ النَّبيِّ – ﷺ – قُلْنا: السَّلامُ على جِبريلَ وميكائيلَ، السَّلامُ على فلانٍ وفلانٍ، فالتَفَت إلينا رسولُ الله – ﷺ – فقال: إنَّ اللهَ هو السَّلامُ، فإذا صلَّى أحَدُكم فلْيَقُل: التَّحيَّاتُ لله، والصَّلَواتُ والطَّيِّباتُ، السَّلامُ عليك –أيُّها النَّبيُّ– ورَحمةُ اللهِ وبَرَكاتُه، السَّلامُ علينا وعلى عِبادِ الله الصَّالحينَ؛ فإنَّكم إذا قُلْتُموها أصابَتْ كلَّ عبدٍ للهِ صالحٍ في السَّماءِ والأرضِ– أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورَسولُه))[62].

آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ.

ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحلَّ بأعدائه من الخزي والنكال والقهر– أن يحمدوه على جميع أفعاله، وأن يُسَلِّموا على عباده المصطفين الأخيار».

(62) رواه البخاري (831) واللفظ له، ومسلم (402).

أي: قُلْ –يا محمَّدُ: هلِ اللهُ المتَّصِفُ بصِفاتِ الكَمالِ والجلالِ والإكرامِ خيرٌ، أمْ تلك الأصنامُ وغيرُها مِن المعبوداتِ الَّتي لا تنفَعُ ولا تضُرُّ، ومع ذلك يعبُدُها المُشرِكون مع اللهِ؟![63]

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60).

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

أي: آللهُ الَّذي تفرَّد بخَلقِ السَّمواتِ والأرضِ خيرٌ، أمِ الَّذي لا يَقدِرُ على فِعلِ ذلك مِن المعبوداتِ الباطلةِ؟!

---

(63) قال ابنُ عطية (٦/ ٥٤٩ بتصرف): «في هذا التفضيل بلفظة ﴿خَيْرٌ﴾ أقوال: أحدها: أن التفضيل وقع بحسب معتقد المشركين؛ إذ كانت تعتقد أن في آلهتها خيرًا بوجه ما.

وقالت فرقة: في الكلام حذف مضاف في الموضعين، التقدير: أتوحيد الله خير أم عبادة ما تشركون.

ف» ما «في هذه الآية بمعنى: الذي.

وقالت فرقة:» ما «مصدرية، وحذف المضاف إنما هو أولًا، تقديره: أتوحيد الله خير أم شِرْكِكم.

وقيل: ﴿خَيْرٌ﴾ هنا ليست بأفعل، إنما هي فَعْل كما تقول: الصلاة خير، دون قصد تفضيل.

وقالت فرقة: تقدير هذه الآية: آلله ذو خير، أما تشركون؟»».

وانتَقَدَ القول الأخير بقوله: «وهذا النوع من الحذف بعيد تأوُّله».

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (99/18)، ((تفسير ابن كثير)) (201/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (185/14)، ((تفسير الألوسي)) (215/10)، ((تفسير السعدي)) (ص: 607).

قال ابن جزي: (ودُخولُ «خيرٍ» الَّتي يُرادُ بها التَّفضيلُ إنَّما هو لِتَبكيتِهم وتعنيفِهم؛ لأنَّه معلومٌ أنَّه لا خيرَ فيما أشركوا أصلًا). ((تفسير ابن جزي)) (ص: 1336).

قال ابن عثيمين: (آللَّهُ خَيْرٌ في كلِّ شيءٍ؛ في صِفاتِه، وفي ثَوابِه وجزائِه لِمَن يَعبدُه). ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 333).

وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ.

أي: وأنزَل اللهُ لأجْلِكم مِن السَّحابِ مطَرًا فأنبتَ بسَبَبِه بساتينَ ذاتَ مَنظرٍ حَسَنٍ يَبتَهِجُ ويُسَرُّ بها مَنْ يراها.

كما قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ [لقمان: 10].

وقال سُبحانَه: وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا [النبأ: 14 – 16].

مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا.

أي: ممتَنِعٌ عليكم غايةَ الامتناعِ إنباتُ شَجَرِ تلك الحدائِقِ، فلا تَقدِرونَ على ذلك، وإنَّما يَقدِرُ عليه اللهُ وَحْدَه.

كما قال تعالى: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ [الواقعة: 63 – 70].

أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ.

أي: أمَعَ اللهِ معبودٌ آخَرُ يُنزِلُ لكم المطَرَ، ويُنبِتُ لكم الشَّجَرَ حتَّى يُشرَكَ به في عبادتِه؟! والجوابُ لا؛ لأنَّه لا إلهَ إلَّا اللهُ وحْدَه.(64)

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.

أي: بل المُشرِكون قومٌ يَعدِلُون عن الحقّ مع عِلمِهم بأنَّ اللهَ هو المتفرِّدُ بالخَلقِ، فيَجعَلونَ للهِ عِدْلًا ونَظيرًا مع عِلمِهم بالفَرقِ.

(64) قال ابنُ القيم (٢/ ٢٤٨): «الصـــحيح من القولين في تقدير الآية: أإله مع الله فَعَلَ هذا؟ حتى يتم الدليل، فلا بد من الجواب بـــ» لا «، فإذا لم يكن معه إله فَعَلَ كفِعْلِه فكيف تعبدون آلهة أخرى سواه؟! فعلم أن إلهية ما سواه باطلة، كما أن ربوبية ما سواه باطلة بإقراركم وشهادتكم.
ومن قال: المعنى: هل مع الله إله آخر؟.
من غير أن يكون المعنى:» فَعَلَ هذا «فقوله ضـــعيف؛ لوجهين:؟ أحدهما؟ ﴿ع﴾: أنهم كانوا يقولون: مع الله آلهة أخرى، ولا ينكرون ذلك.؟ الثاني؟ ﴿ع﴾: أنه لا يتم الدليل، ولا يحصـــل إفحامهم وإقامة الحجة عليهم إلا بهذا التقدير، أي: فإذا كنتم تقولون: إنه ليس معه إله آخر فعل مثل فعله.
فكيف تجعلون معه إلهًا آخر لا يخلق شيئًا وهو عاجز؟! وهذا كقوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ [لقمان: ١١]، وقوله: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧]، وقوله: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شـــيئا وهم يخلقون﴾ [النحل: ٢٠]، وقوله: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ [الفرقان: ٣]، وهو كثير في القرآن، وبه تتمُّ الحُجَّة كما تبيَّن».
وبنحوه قال ابنُ تيمية (٥/ ٦٥ – ٦٧).
وبيَّن ابنُ كثير (٦/ ٤٢٠) أنّ القول الأول يرجع إلى معنى الثاني، وقال مُعلِّلًا ذلك: «لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثَمَّ أحد فَعَلَ هذا معه، بل هو المتفرد به.
فيُقال: فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقِلّ المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧]».

كما قال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ [الأنعام: 1].

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61).

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا.

أي: آللهُ الَّذي جعَلَ الأرضَ مُستَقِرَّةً ساكِنةً لا تَضطرِبُ خيرٌ، أمْ تلك المعبوداتُ العاجِزةُ عن فِعلِ ذلك؟!

كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا [غافر: 64].

وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا.

أي: وأجرى في خِلالِ الأرضِ أنهارًا جاريةً بالماءِ.

كما قال تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ [إبراهيم: 32].

وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ.

أي: وجعلَ للأرضِ جِبالًا تُثبِّتُها.

كما قال تعالى: وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ [النحل: 15].

وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا.

أي: وجعَلَ بيْنَ البِحارِ المِلْحةِ والأنهارِ العَذْبةِ مانِعًا بقُدرتِه؛ لئَلَّا يختَلِطَ الماءُ العذبُ بالماءِ المِلْحِ، فيُفسِدَ أحدُهما الآخَرَ، فتَفُوتَ المنفعةُ المقصودةُ منهما.

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا [الفرقان: 53].

وقال سُبحانَه: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [الرحمن: 19 – 21].

أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ.

أي: أمَعَ اللهِ معبودٌ آخَرُ فعَلَ تلك الأشياءَ، فاستحقَّ أن يُعبَدَ؟!

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

أي: بل أكثَرُهم(65) لا يَعلَمونَ ما يجِبُ لله، ولا يَعلَمونَ ضَرَرَ الإشراكِ به، ولا نَفْعَ توحيدِه، وأشركوا باللهِ؛ تقليدًا لآبائِهم، واتِّباعًا لكُبَرائِهم.

---

(65) قيل: المرادُ: أكثَرُ المشركين.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (102/18)، ((تفسير ابن عاشور)) (14/20).

وقيل: المرادُ: أكثرُ الخَلقِ لا يَعلمون.

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62).

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ.

أي: آللهُ الَّذي يُعطي المحتاجَ ما يَسألُه مِن الأشياءِ العَسِرةِ الحُصُولِ، ويُزيلُ الضرَّ والكَربَ إنْ شاء، ويَستخلِفُكم في الأرضِ؛ خيرٌ أمْ تلك المعبوداتُ العاجزةُ عن تحقيقِ ذلك؟!

كما قال تعالى: بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ [الأنعام: 41].

وقال عزَّ وجلَّ: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [يونس: 107].

وعن أبي تَميمةَ الهُجَيميِّ، عن رجُلٍ مِن بَلْهُجَيم قال: قلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إلامَ تدعو؟ قال: ((أدعو إلى اللهِ وحْدَه، الَّذي إنْ مسَّك ضُرٌّ فدعَوْتَه كشَفَ عنك، والَّذي إنْ ضلَلْتَ بأرضٍ قفرٍ[66] دعَوْتَه ردَّ عليك، والَّذي إنْ أصابَتْك سَنَةٌ[67] فدعَوْتَه أنبَتَ عليك)).[68]

وممَّن قال بهذا المعنى: البقاعي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (190/14)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 359).

(66) قفرٍ، أي: فلاةٍ خاليةٍ مِن الماءِ والشَّجرِ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (1345/4).

(67) سَنَةٌ: أي: عامٌ مُقحِطٌ لم تُنبِتُ فيه الأرضُ شَيئًا.

يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (354/6).

(68) أخرجه أحمد (20636) واللفظ له، وأبو داود (4084).

أَئِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ.

أي: أمَعَ اللهِ معبودٌ آخَرُ يُجيبُ المُضطرَّ، ويَكشِفُ السُّوءَ، ويَستخلِفُكم في الأرضِ؟!

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.

أي: قليلًا ما تتذكَّرون عَظَمةَ اللهِ ونِعَمَه وحُجَجَه؛ لإعراضِكم وغَفلتِكم؛ فلِذا أشرَكْتُم باللهِ!

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63).

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

أي: آللهُ الَّذي يُرشِدُكم الطَّريقَ إذا ضَلَلْتُم في ظُلُماتِ الأرضِ والبَحرِ في أسفارِكم –بتيسيرِه وبما خَلَق لكم من العَلاماتِ– خيرٌ أمِ المعبوداتُ الباطلةُ العاجزةُ عن فِعلِ ذلك؟!

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [الأنعام: 97].

وقال سُبحانَه: وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ [النحل: 16].

وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ.

الحديث صححه ابن حجر –كما في ((الفتوحات الربانية)) لابن علان (322/5)–، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4084)، وحسن إسناده الذهبي في ((المهذب)) (4253/8)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيق ((مسند أحمد)) (239/34).

أي: والَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ مُبشِّرةً بالمطرِ قبْلَ نزولِه خيرٌ أم مَن لا يَقدِرُ على ذلك؟!

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ [الأعراف: 57].

أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ.

أي: أمَع اللهِ معبودٌ آخرُ يهديكم في أسفارِكم، ويُرسِلُ الرِّياحَ مُبشِّرةً بنُزولِ المطَرِ؛ فاستحَقَّ العبادةَ مع اللهِ، أمْ هو اللهُ وحْدَه الَّذي فعَل ذلك، ثمَّ عبَدْتُم غيرَه؟!

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أي: تعاظَمَ اللهُ وتنزَّه عن الشِّركِ، وعن مُساواتِه بالمعبوداتِ الباطِلةِ العاجِزةِ النَّاقِصةِ.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64).

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ.

أي: آللهُ الَّذي ابتَدأ كلَّ مخلوقٍ فأوجَدَه مِنَ العدَمِ، ثمَّ بعْدَ فنائِه يُعيدُه كهَيْئَتِه قبْلَ أن يُفنِيَه، وذلك يومَ البعثِ والنُّشورِ.

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [الروم: 27].

وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

أي: ومَن يُعطيكم مِنَ السَّماءِ المطَرَ، ومِنَ الأرضِ النَّباتِ - خيرٌ أم مَن لا يقدِرُ على فِعلِ ذلك؟!

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ [فاطر: 3].

أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ.

أي: أمَعَ اللهِ مَعبودٌ آخَرُ يَقدِرُ على ابتداءِ الخَلقِ وإعادتِه، ورِزْقِكم مِنَ السَّماءِ والأرضِ؟!

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- للمُشركِين: هاتوا دليلَكم وحُجَّتَكم على صِحَّةِ عبادتِكم غيرَ اللهِ، إن كنتُم صادقِينَ في دعواكم أنَّ مع اللهِ إلهًا آخرَ يَستحِقُّ العبادةَ![69]

كما قال تعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [المؤمنون: 117].

---

(69) قال ابنُ عثيمين: («البرهانُ» هو الدَّليلُ، وخَصَّه بعضُهم بالدَّليلِ القاطِعِ، وقالوا: إنَّ الدليلَ إنْ كان قطعيًّا في دَلالتِه فهو بُرهانٌ، وإنْ كان ظنيًّا فهو دليلٌ وليس ببُرهانٍ، ولكِنَّ الظاهِرَ مِن الآياتِ الكريمةِ أنَّ البرهانَ في القرآنِ دَليلٌ؛ سواءٌ كان قطعيًّا كما قال أهلُ المنطِقِ، أمْ غيرَ قَطعيٍّ؛ فعلى هذا يكونُ قَولُه سُبحانَه وتعالى: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ شامِلًا للقَطْعيِّ والظَّنِّيِّ؛ لأنَّهم ليس عندَهم لا دليلٌ قطعيٌّ ولا ظنِّيٌّ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 380).

ويُنظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (51/13)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: 44)، ((الكليات)) للكفوي (ص: 440).

سورةُ النَّملِ

الآيات (65–70)

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (66) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70)

غَريبُ الكَلِماتِ:

ادَّارَكَ: أي: تكامَلَ وتدارَكَ واستحكَمَ، وأصلُ (درك): يدُلُّ على لُحوقِ الشَّيءِ بالشَّيءِ، ووُصولِه إليه.

عَمُونَ: أي: جاهِلونَ، جمعُ عَمٍ، وهو صفةٌ على وزنِ فَعِلٍ مِن العمَى، والعَمى يُقالُ في افتقادِ البصَرِ والبصيرةِ، وأصلُ (عمي): يدُلُّ على سَترٍ وتغطيةٍ.

أَسَاطِيرُ: الأساطيرُ: الأباطيلُ والتُّرَّهاتُ، جمعُ أُسْطورةٍ، وهي: ما سُطِر مِن أخبارِ الأوَّلينَ وكذبِهم، وقيل: ما سطَره الأوَّلونَ مِن الكتبِ، وأصلُ (سطر): يدُلُّ على اصطفافِ الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65).

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ.

أي: قُلْ –يا محمَّدُ: لا يَعلَمُ أحدٌ في السَّمواتِ وفي الأرضِ الغيبَ الذي استأثرَ اللهُ بعِلمِه، إلَّا اللهُ وحْدَه.

كما قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: (مَنْ زعَمَ أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يُخبِرُ بما يكونُ في غدٍ فقد أعظَمَ على اللهِ الفِرْيةَ، واللهُ يقولُ: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ).[70]

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ.

أي: وما يدري أحدٌ متى يَبعثُ اللهُ الخَلْقَ مِن قبورِهم يومَ القيامةِ.

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (66).

---

(70) رواه مسلم (177).

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

أي: بل تكامَلَ عِلمُهم يومَ القيامةِ بأنَّ كُلَّ ما وُعِدوا به في الدُّنيا حَقٌّ واقِعٌ.(71)

---

(71) وممَّن ذهب إلى أنَّ المعنى: بل تكامَلَ عِلمُ المشركين يومَ القيامةِ حينَ عايَنوها بأنَّ كلَّ ما وُعِدوا به في الدُّنيا حقٌّ وواقعٌ في الآخرة: مقاتلُ بن سليمان، والزَّجَّاج، والأزهري، والشنقيطي.

يُنظر: المصادر السابقة.

ذكر الماوَرْديُّ الخِلافَ في قولِه: بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وأنَّ فيه قولَين: الأول: أنَّها صِفةُ ذمٍّ، فيكون المعنى: اضمحلَّ عِلمُهم، أو ضَلَّ وغابَ، أو لم يُدرِكْ عِلمُهم.

والثاني: أنَّها صفةُ حمدٍ لعِلمِهم، وإنْ كانوا مذمومينَ، فيكون المعنى على ذلك: أدرَكَ عِلمُهم، أو اجتَمع عِلمُهم، أو تلاحَقَ.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (224/4).

فعلى القولِ الأوَّلِ يكونُ المعنى: بل تَتابَعَ عِلمُ هؤلاء المشركين بشؤونِ البعثِ حتَّى اضمحَلَّ وفنِيَ، ولم يَبْقَ لهم عِلمٌ بشَيءٍ ممَّا سيكونُ فيها قطعًا مع توافُرِ أسبابِه ومَباديه مِنَ الدَّلائلِ، وتكونُ (في) بمعنى الباءِ.

وعلى القولِ الثَّاني يكونُ المعنى: بل تكامَلَ عِلمُهم بشؤونِ الآخرةِ، حينَ يُعايِنون ما أُعِدَّ لهم فيها مِن عذابٍ، بعدَ أن كانوا يُنكِرون البعثَ والحسابَ في الدُّنيا.

يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (224/10)، ((التفسير الوسيط)) لطنطاوي (350/10).

اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ على أربعة أقوال: أولها: أنّ معناها: بل أدرك علمهم في الآخرة فأيقنوها؛ إذ عاينوها، حين لم ينفعهم يقينهم بها؛ إذ كانوا بها في الدنيا مكذّبين.

والثاني: أنّ معناها: بل غاب علمهم في الآخرة.

والثالث: أنّ معناها: لم يبلغ لهم فيها علم.

والرابع: أنّ معناها: أم أدرك علمهم في الآخرة؟

ورجَّحَ ابنُ جرير (١٨/ ١١١ بتصرف) على قراءة مَن قرأ: «بَلْ أَدْرَكَ» القولَ الأولَ –وهو قول ابن عباس، من طريق عطاء الخرساني– استنادًا إلى أنه الأظهر من المعاني، فقال: «إنما قلت: هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، على القراءة التي ذُكِرَت؛ لأن ذلك أظهر معانيه.

فالكلام إذا كان ذلك معناه: وما يشعرون أيان يبعثون، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة، بل هم في الدنيا في شك منها».

ورجَّحَ (١٨/ ١١١ بتصرف) على قراءة من قرأ ﴿بَلِ ادّارَكَ﴾ القولَ الرابعَ –وهو قول مجاهد– استنادًا إلى لغة العرب، وقال: «العرب تضع» أم «موضع» بل «، وموضع» بل «» أم «إذا كان في أول الكلام استفهام.

فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة، يعني: [أم] تتابع علمُهم في الآخرة، أي: بعلم الآخرة، أي: لم يتتابع بذلك ولم يعلموه، بل غاب علمهم عنه، وضل فلم يبلغوه ولم يُدرِكوه».

القراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسيرِ:

1- قراءةُ أَدْرَكَ قيل: معنى الآيةِ على هذه القراءةِ: بل أدرَك عِلمُهم البعثَ في الآخرةِ حينَ يُبعَثون، فلا يَنفعُهم عِلمُهم حينَئذٍ، فأمَّا في الدُّنيا فإنَّهم في شكٍّ مِن الآخرةِ. وقيل: المعنى: هل أدرَك عِلمُهم عِلمَ الآخرةِ؟ أي: لم يَعْلَموا حدوثَها وكَوْنَها. وقيل: المعنى: انتهَى وفنِيَ. وقيل غيرُ ذلك.[72]

2- قراءةُ ادَّارَكَ: ومعنَى الآيةِ على هذه القراءةِ: بل تكامَل عِلمُهم يومَ القيامةِ بأنَّ كلَّ ما وُعِدوا به حقٌّ. وقيل: المعنى: بل تدارَكَ ظَنُّهم وحَدْسُهم في الحُكمِ على الآخرةِ؛ فتارةً يقولونَ: إنَّها كائنةٌ، وتارةً يقولونَ: لا تكونُ. وقيل: القراءتانِ بمعنًى واحدٍ. وقيل غيرُ ذلك.[73]

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا.

أي: بل المُشرِكون في الدُّنيا في شكٍّ مِن وجودِ الآخرةِ ووُقوعِ القيامةِ، فهُم لا يُوقِنونَ بالبَعثِ بعدَ الموتِ.

---

(72) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (339/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (110/18)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 535)، ((تفسير الزمخشري)) (379/3)، ((تفسير ابن كثير)) (207/6).

(73) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (339/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (110/18)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 535)، ((تفسير ابن كثير)) (207/6).

بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ.

أي: بل هم في الدُّنيا جاهِلون جَهلًا تامًّا بأمرِ الآخرةِ ووقوعِها، وما يكونُ فيها مِنَ الحِسابِ والجَزاءِ.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67).

أي: وقال الكُفَّارُ: أئِذا صِرْنا وآباؤنا ترابًا في القُبورِ أئِنَّا لَمُخرَجونَ يومَ القيامةِ أحياءً بعدَ مَوتِنا؟! هذا شَيءٌ لا يكونُ أبدًا.

لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68).

لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ.

أي: قال المُشرِكون: لقد جاءَنا مِنْ قبْلِ محمَّدٍ مَن وَعَدنا وأسلافَنا بالبَعثِ كما وعَدَنا محمَّدٌ، ولم نَرَ لذلك حقيقةً!

إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

أي: ما هذا الوَعدُ بالبَعثِ بعدَ الموتِ إلَّا أحاديثُ باطِلةٌ، وحِكاياتٌ مُختلَقةٌ سطَّرها الأقدَمون في كتُبِهم، وتلقَّفها مَن بعْدَهم، ولا صحَّةَ لذلك.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69).

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- للمُشرِكين: سافِروا في الأرضِ فانظُروا آثارَ الكُفَّارِ الَّذين كذَّبوا رُسلَ اللهِ، فأهلَكَهم اللهُ في آخِرِ أمرِهم؛ لِتعتبِروا وتحذَروا أن يصيبَكم ما أصابَهم.

كما قال تعالى: وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [الأنعام: 10، 11].

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70).

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ.

أي: ولا تحزَنْ -يا محمَّدُ- على هؤلاءِ المُشرِكين، وإعراضِهم عنك، وتكذيبِهم بما جِئتَهم به مِن الحَقّ.

كما قال تعالى: الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: 176].

وقال سبحانه: وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ [يونس: 65].

وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ.

أي: ولا يَضِقْ صدرُك -يا محمَّدُ- بسبَبِ مَكرِ الكافرين بك؛ فإنَّ مكرَهم يعودُ وَبالًا عليهم، واللهُ حافِظُك، وناصِرُك عليهم، ومُظهِرٌ دينَك.

كما قال تعالى: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة: 67].

سورةُ النَّملِ

الآيات (71–75)

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (71) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ
الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
(73) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (74) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (75)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

رَدِفَ لَكُمْ: أي: اقتَرَب لكم، ودنا منكم، وأصلُ (ردف): يدُلُّ على اتِّباعِ الشَّيءِ.

تُكِنُّ: أي: تُخفي، مِن أكننتُ الشَّيءَ: إذا ستَرْتَه وصُنتَه، وأصلُ (كنن): يدُلُّ على سَترٍ وصَونٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (71).

أي: ويقولُ المُشرِكون: متى سيأتينا عَذابُ اللهِ -يا محمَّدُ- إنْ كنتُم صادِقينَ فيما تَعِدوننا به مِن العذابِ؟!

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72).

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لهؤلاء المُشرِكينَ: قد دنا لكم بعضُ العذابِ الَّذي تَستعجِلونَ وُقوعَه.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (73).

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ.

أي: وإنَّ ربَّك -يا محمَّدُ- لَذو فَضلٍ كبيرٍ على النَّاسِ، بإمهالِهم والإحسانِ إليهم مع ظُلمِهم أنفُسَهم.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ.

أي: ولكنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَشكُرونَ اللهَ على نِعَمِه، ويُشرِكون معه غيرَه في العبادةِ، ويَستعجِلونَ عَذابَه.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (74).

أي: وإنَّ ربَّك -يا محمَّدُ- لَيعلَمُ ما يُخفونَه في قُلوبِهم، وما يُظهِرونَه مِن أقوالِهم وأفعالِهم، لا يخفَى عليه منها شَيءٌ.

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (75).

أي: وما مِن شَيءٍ مَخفيٍّ عن العبادِ في السَّماءِ والأرضِ إلَّا يَعلَمُه اللهُ، وهو مثبَتٌ في كتابٍ واضحٍ بيِّنٍ، وهو اللَّوحُ المحفوظُ.(74)

(74) قال القرطبي: (ما مِن خَصلةٍ غائبةٍ عن الخَلقِ إلَّا واللهُ عالِمٌ بها، قد أثبَتَها في أمِّ الكتابِ عندَه، فكيف يخفى عليه ما يُسِرُّ هؤلاء وما يُعلِنونَه؟! وقيل: أيْ: كُلُّ شَيءٍ هو مُثبَتٌ في أمِّ الكتابِ، يُخرِجُه للأجَلِ المؤجَّلِ له، فالَّذي يَستعجِلونَه مِن العذابِ له أجَلٌ مَضروبٌ لا يتأخَّرُ عنه ولا يتقَدَّمُ عليه).

((تفسير القرطبي)) (231/13).

قال البيضاوي: (مُبِينٍ بَيِّنٌ، أو مُبِينٌ ما فيه لِمَن يُطالِعُه).

((تفسير البيضاوي)) (167/4).

وقال ابنُ عجيبة: (المُبِينُ: الظَّاهِرُ البَيِّنُ لِمَن ينظُرُ فيه مِن الملائكةِ.

أو: مُبينٌ لِما فيه مِن تفاصيلِ المقدوراتِ.

والله تعالى أعلمُ).

((البحر المديد)) (215/4).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (116/18).

ممَّن اختار أنَّ معنى مُبِينٍ: بَيِّنٌ ظاهِرٌ: مقاتلُ بن سليمان، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، والنسفي، وجلال الدين المحلي، والشربيني.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (316/3)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (310/3)، ((البسيط)) للواحدي (294/17)، ((تفسير الزمخشري)) (382/3)، ((تفسير النسفي)) (620/2)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 503)، ((تفسير الشربيني)) (73/3).

قال ابن جرير: (يعني بقولِه: مُبِينٍ أنَّه يَبِينُ لِمَنْ نَظَرَ إليه، وقَرأ ما فيه مِمَّا أثْبَت فيه ربُّنا جلَّ ثناؤُه).

((تفسير ابن جرير)) (116/18).

وقال ابن عاشور: (والمُبِينُ: المُفَصَّلُ؛ لأنَّ الشَّيءَ المُفَصَّلَ يكونُ بَيِّنًا واضحًا).

((تفسير ابن عاشور)) (29/20).

كما قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59].

وقال سُبحانَه: وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [يونس: 61].

وقال عزَّ وجلَّ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحج: 70].

سورةُ النَّملِ

الآيات (76-82)

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78) فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ (80) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ
مُسْلِمُونَ (81) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ
كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الصُّمَّ: جمعُ الأصَمِّ، وهو الَّذي لا يسمَعُ، والصَّمَمُ: فِقدانُ حاسَّةِ السَّمعِ، وبه يُوصَفُ مَن لا يُصغِي إلى الحقِّ ولا يَقْبَلُه، وأصلُ (صمم): يدُلُّ على تضامِّ الشَّيءِ، وزوالِ الخرقِ والسمِّ (الثقبِ).

دَابَّةً: كلُّ شيءٍ دبَّ على وجهِ الأرضِ فهو دابَّةٌ، ويُطْلَقُ عُرفًا على الخَيلِ والحِمارِ والبغلِ، ويُستعملُ في كلِّ حيوانٍ، وأصلُ (دبب): حركةٌ على الأرضِ أخَفُّ مِنَ المشيِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76).

أي: إنَّ هذا القُرآنَ يُبيّنُ لبني إسرائيلَ الحَقَّ في أكثرِ ما يختَلِفونَ فيه، فلو اتَّبَعوه لاهتَدَوا.

كما قال تعالى: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: 62 – 68].

وقال سبحانه: ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ [مريم: 34].

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77).

أي: وإنَّ القرآنَ لهُدًى مِن كلِّ ضلالةٍ، ومُوصِلٌ إلى المقصودِ، ورحمةٌ للمُؤمنينَ العامِلينَ به، في دينِهم ودُنياهم وأُخْراهم.

كما قال الله تعالى: هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: 203].

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78).

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ.

أي: إنَّ ربَّك –يا محمَّدُ– سيَحكُمُ يومَ القيامةِ بيْنَ عِبادِه المُختَلِفينَ بحُكمِه العادِلِ، ويُجازيهم بما يَستحِقُّون.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ.

أي: واللهُ هو العزيزُ في انتِقامِه، الغالِبُ القاهِرُ لعبادِه، المُمتَنِعُ عن كُلِّ نَقصٍ وعَيبٍ، العليمُ بكلِّ شَيءٍ، فلا يخفَى عليه شَيءٌ مِن أعمالِ العبادِ ونيَّاتِهم وغيرِ ذلك، ويَعلَمُ ما يحكُمُ به بيْنَهم، ويُجازيهم بما يَستَحِقُّونَ.

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79).

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.

أي: فاعتَمِدْ –يا محمَّدُ– على اللهِ وَحْدَه، وثِقْ به، وفوِّضْ جميعَ أمورِك إليه.

إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

أي: إنَّك –يا محمَّدُ– على الحقِّ الظَّاهِرِ الواضِحِ غايةَ الوُضوحِ، فلا خَفاءَ فيه ولا اشتِباهَ، وإنْ خالَفَك مَنْ خالَفَك فلا يَحزُنْك تكذيبُ المُعرِضينَ وخِلافُهم، ولا يَضُرَّك ضَلالُهم، وامْضِ لِما أُمِرْتَ به؛ فإعراضُهم ليس عن خَلَلٍ في دعوتِك، وإنَّما الخَلَلُ في عقولِهم وإدراكِهم.

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80).

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى.

أي: إنَّك –يا محمَّدُ– لا تَهدي الكُفَّارَ الَّذين ماتت قلوبُهم بعْدَ أن خَتَم اللهُ عليها، فلا تَقدِرُ على إسماعِهم سَماعَ هُدًى ونَفعٍ وقَبولٍ يَستَجيبون معه للحَقِّ ويَنقادونَ إليه، إلَّا أن يَشاءَ اللهُ هِدايتَهم.

كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ [فاطر: 22].

وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ.

أي: ولا تَقدِرُ –يا محمَّدُ– أن تُسمِعَ الحقَّ الكفَّارَ الَّذين أصَمَّ اللهُ آذانَهم، إذا أعرَضوا عن سَماعِ الحقِّ وتدَبُّرِه.

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ [الأنبياء: 45].

وقال تبارك وتعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال: 22، 23].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ يَسْمَعُ الصُّمُّ بالرَّفعِ، بجَعلِ المُعرِضينَ هم الفاعلينَ، أي: لا يَنقادُون للحقّ؛ لِعِنادِهم.[75]

2- قِراءةُ تُسْمِعُ الصُّمَّ بالنَّصبِ، على الخِطابِ لِرَسولِ اللهِ - ﷺ -، أي: إنَّك -يا محمَّدُ- لا تَقدِرُ أن تُسمِعَ دُعاءَك الصُّمَّ المُعرِضينَ عنك.[76]

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81).

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ.

أي: وما أنتَ -يا محمَّدُ- بهادي الكُفَّارِ الَّذين عَمُوا عن الحَقِّ، فتُخرِجَهم مِنَ الكُفرِ إلى الإيمانِ.

كما قال تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [القصص: 56].

---

(75) قرأ بها ابنُ كثير.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/339).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/245)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 536).
(76) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/239).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 536)، ((الكشف)) لمكّي (2/165، 166).

إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ.

أي: لا تَقدِرُ –يا محمَّدُ– على أن تُفهِمَ الحَقَّ أحَدًا إلَّا الذين يُؤمِنونَ بآياتِنا فيَسمَعونَها ويتفَكَّرونَ فيها، ويَنقادونَ للعَمَلِ بها بإخلاصٍ وخُضوعٍ.

كما قال تعالى: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ [الأنعام: 36].

وقال تبارك وتعالى: وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [الشورى: 26].

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآَيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82).

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ.

أي: وإذا حلَّ الوَعدُ بالعذابِ والسَّخَطِ على الكافِرينَ، أخرَجْنا لهم دابَّةً مِنَ الأرضِ.

كما قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ [الأنعام: 158].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((ثلاثٌ إذا خرجْنَ لا ينفَعُ نَفْسًا إيمانُها لم تكُنْ آمَنَت مِن قَبْلُ أو كَسَبَت في إيمانِها خيرًا: طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغربِها، والدَّجَّالُ، ودابَّةُ الأرضِ)).[77]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ - ﷺ - قال: ((بادِروا بالأعمالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، والدُّخانَ، ودابَّةَ الأرضِ، وطُلوعَ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، وأمْرَ العامَّةِ،[78] وخُوَيْصَّةَ أحَدِكم)).[79][80]

وعن حُذيفةَ بنِ أَسِيدٍ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: اطَّلَعَ النَّبيُّ - ﷺ - علينا ونحن نَتَذاكَرُ، فقال: ((ما تَذاكَرون؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعةَ، قال: إنَّها لن تقومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَها عَشْرَ آياتٍ، فذكَرَ: الدُّخانَ،

---

(77) رواه مسلم (158).
قال الشـــنقيطي: (طلوعُ الشَّـــمسِ والدَّابَّةُ مُترادِفانِ، بيْنَهما قليلٌ، جاء في بعضِ الأحاديثِ أنَّ الشَّـــمسَ إذا طلَعت مِن مَغرِبها خرَجت الدَّابَّةُ ضُحًى [ينظر ما أخرجه مسلم (2941) من حديث عبد الله بن عَمرٍو رضي الله عنهما، مرفوعًا]،...
قال بعضُ العلماءِ: والحكمةُ في إتيانِ الدَّابَّةِ بعدَ الشَّـــمسِ: أنَّ الشـــمسَ إذا طلَعت مِن مَغرِبها خُتِم على الأعمالِ، ولم يُقبَلْ مِن كافرٍ إيمانٌ، ولم يُقبلْ مِن عاصٍ توبةٌ، وانقطع تجديدُ إيمانٍ جديدٍ، أو توبةٍ جديدةٍ، فيُرسِـــلُ اللهُ بعدَ ذلك الدَّابَّةَ، فتكتُبُ على جبهةِ كلِّ إنسانٍ: «سعيد» أو «شقي» يَعرِفُه مَن يَراه؛ لِتُبيِّنَ حالَ النَّاسِ عندَ انقطاعِ أعمالِهم: مَن هو الكافرُ منهم، ومَن هو السعيدُ؟).
((العذب النمير)) (597/2).
(78) أمْرَ العامَّةِ: قيل: أي: الفِتنة الَّتي تَعُمُّ النَّاسَ، وقيل: القيامة؛ لأنَّه يَعُمُّ الخلائقَ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (87/18)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3450/8).
(79) خُوَيْصَّة: تصغيرُ خاصَّة، أي: الوقعة الَّتي تخُصُّ أحدكم؛ قيل: يريدُ الموتَ، وقيل: هي ما يختصُّ به الإنسانُ مِن الشَّواغلِ المُتعلِّقةِ في نفْسِه ومالِه وما يهتَمُّ به، وصُغِّرَتْ؛ لاستِصغارِها في جنبِ سائرِ الحَوادثِ مِنَ البعثِ والحسابِ وغيرِ ذلك.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (3450/8).
(80) رواه مسلم (2947).

والدَّجَّالَ، والدَّابَّةَ، وطُلوعَ الشَّمسِ مِن مَغربِها، ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ – ﷺ –، ويأجوجَ ومَأجوجَ، وثلاثةَ خُسوفٍ: خَسفٌ بالمشرِقِ، وخَسفٌ بالمغرِبِ، وخَسفٌ بجزيرةِ العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تخرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم)).[81]

---

(81) رواه مسلم (2901).

تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ.

أي: تخاطِبُ الدَّابَّةُ[82] الكافرينَ بأنَّ النَّاسَ لا يُؤمِنونَ بآياتِ اللهِ تعالى إيمانًا تامًّا لا شكَّ فيه ولا شُبهةَ.

(82) ممَّن نصَّ على أنَّ معنى تُكَلِّمُهُمْ: تُحَدِّثُهم: مقاتلُ بن سليمان، والفَرَّاء، والسمرقندي، والبِقاعي، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/317)، ((معاني القرآن)) للفراء (2/300)، ((تفسير السمرقندي)) (2/592)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/216)، ((تفسير السعدي)) (ص: 610)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 459).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: عليُّ بنُ أبي طالب، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، وقَتادةُ، والحسن.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/127)، ((تفسير ابن كثير)) (6/210).

وقيل: معنى تُكَلِّمُهُمْ: تَجرَحُهم، مِنَ الكَلْمِ: وهو الجَرْحُ، والتَّشديدُ على معنى التَّكثيرِ.

وممَّن ذكر هذا المعنى: الزمخشريُّ.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (3/385).

وأنكر ابنُ عثيمين هذا المعنى وردَّه.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 459).

وذكر الأزهريُّ أن قراءة (تَكْلِمُهُم) مِن الكَلْمِ: شاذَّةٌ لا يُعرَّجُ عليها.

يُنظر: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/247)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (10/147)، ((الكامل في القراءات)) للهذلي (ص: 613).

قال ابن كثير: (وقال ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: تَجْرَحُهم.

وعنه روايةٌ: قالَ: كُلًّا تفعَلُ، يعني هذا وهذا.

وهو قولٌ حسنٌ، ولا مُنافاةَ، واللهُ أعلمُ).

((تفسير ابن كثير)) (6/211).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (9/2926).

سورةُ النَّملِ

الآيات (83–85)

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (85)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

فَوْجًا: أي: زُمْرةً وجماعةً، والفَوجُ: الجماعةُ مِن الناسِ، وأصلُ (فوج): يدُلُّ على تجمُّعٍ.

يُوزَعُونَ: أي: يُدفَعونَ، ويُحبَسُ أوَّلُهم على آخِرِهم، وأصلُ (الوَزْع): الكفُّ والمنعُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83).

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا.

أي: واذكُرْ[83] يومَ نجمَعُ مِن كُلِّ أمَّةٍ مِن الأُمَمِ جماعةً كثيرةً ممَّن يُكذِّبُ بآياتِ القُرآنِ وحُجَجِنا الدَّالَّةِ على الحَقِّ.

فَهُمْ يُوزَعُونَ.

أي: فيُحبَسُ أوَّلُهم على آخِرِهم، فيَجتَمِعونَ جميعًا.

حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84).

حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا.

أي: فلمَّا جاؤوا إلى الموضِعِ الذي أراده اللهُ لِتَبكيتِهم، قال لهم مُوبِّخًا: أكذَّبتُم بآياتِ كِتابي وحُجَجي، والحالُ أنَّكم جاهِلونَ بها لم تَعرِفوها حقَّ مَعرِفتِها؟!

أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

---

(83) قال الشوكاني: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا العامِلُ في الظَّرفِ، فِعلٌ محذوفٌ خُوطِب به النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ...، ومعنَى الآيةِ: واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- يومَ نجمعُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ...).

((تفسير الشوكاني)) (4/177).

أي: أم ما الَّذي كنتُم تَعملونَه؟!

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (85).

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا.

أي: ووجَبَ عذابُ اللهِ وغَضَبُه يومَ القيامةِ على أولئك المكَذِّبينَ؛ بسَبَبِ ظُلمِهم أنفُسَهم في الدُّنيا بتكذيبِهم آياتِ اللهِ سُبحانَه.

فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ.

أي: فلا يَستطيعُ أولئك المكَذِّبونَ أن يَنطِقوا بحُجَّةٍ أو عُذرٍ يَدفَعُ عنهم العَذابَ.

كما قال تعالى: هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات: 35 – 37].

سورةُ النَّملِ

الآيات (86–88)

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86)
وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَاخِرِينَ (87) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ
كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الصُّورِ: أي: القرنُ يَنفخُ فيه إسرافيلُ.

دَاخِرِينَ: أي: صاغِرِينَ أذِلَّاءَ، وأصلُ (دخر): يدُلُّ على الذُّلِّ.

تَفسيرُ الآياتِ:

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86).

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا.

أي: ألم يَروا[84] أنَّا جعلْنا اللَّيلَ مُظلِمًا لِتَسكُنَ فيه أبدانُهم عن الحَركةِ، ويَستريحوا فيه مِن النَّصَبِ والتَّعَبِ؛ وجعَلْنا النَّهارَ ضياءً لِيَنتشِروا فيه؛ طلبًا لمعايشِهم وغيرِها، فجعَلْناهما مختَلِفَينِ ومُتعاقِبَينِ لمصالحِهم؟!

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [الفرقان: 47].

وقال سُبحانَه: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا *وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا [النبأ: 9 – 11].

---

(84) قيل: المرادُ: ألم يَرَ أولئك المكذِّبون بآياتِنا.
وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، ومكِّي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/130، 131)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8/5473).
وذهَب مقاتلُ بنُ سليمانَ والسمرقنديُّ إلى أنَّ المرادَ كفَّارُ مكةَ.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/318)، ((تفسير السمرقندي)) (2/594).
والرُّؤيةُ هنا قيل: يجوزُ أن تكونَ عِلميَّةً، ويجوزُ أن تكونَ بصَريَّةً.
يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (20/43).
وممَّن ذهب إلى أنَّ المرادَ: الرُّؤيةُ العِلميَّةُ والبصَريَّةُ: ابنُ عثيمين.
يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة النمل)) (ص: 478).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

أي: إنَّ في خَلقِ اللَّيلِ والنَّهارِ واختِلافِهما على تلك الصِّفةِ لَدَلالاتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ باللهِ، ومِن ذلك الدَّلالةُ على توحيدِه وقُدرتِه على إحياءِ الموتى.

كما قال تعالى: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ [يونس: 6].

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (87).

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

أي: واذكُرْ يومَ يَنفُخُ المَلَكُ بأمرِ اللهِ في البُوقِ(85) فيَنزعِجُ ويَرتاعُ كُلُّ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ، إلَّا مَن شاء اللهُ ألَّا يَفزَعَ.

---

(85) ذَهَبَ ابنُ عطية (٦/ ٥٦٢) إلى أنّ الصّور: هو القرن، فقال: «هو القرن في قول جمهور الأمة، وهو مقتضى الأحاديث».
ذَهَبَ ابنُ عطية (٦/ ٥٦٢) إلى أنّ المَلَكَ له ثلاث نفخات في الصـور، كما ورد في أثر أبي هريرة – رضـي الله عنهما –، وذكر قولًا آخر، فقال: «قالت فرقة: إنما هما نفختان.
كأنهم جعلوا الفزع والصـعق في نفخة واحدة، واسـتدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [الزمر: ٦٨]، وقالوا:» أخرى «لا تُقال إلا في الثانية».
ثم انتقَدَ قولهم، فقال (٦/ ٥٦٣): «والقول الأول أصح، و» أخرى«تُقال في الثالثة، ومنه قول ربيعة بن مقروم:
ولقد شفعتهما بآخر ثالث
ومنه قوله تعالى: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ٢٠]».

وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ.

أي: وكُلُّ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ جاؤوا إلى اللهِ بذُلٍّ وخُضوعٍ.

كما قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: 38].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا [مريم: 93].

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88).

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ.

أي: وترى الجِبالَ تظُنُّها ثابتةً ساكِنةً، ولكِنَّها في الحقيقةِ تتحرَّكُ كالسَّحابِ.

صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.

أي: ذلك مِن فِعْلِ وخَلْقِ اللهِ الذي أجاد وأوثَقَ وأحكَمَ كُلَّ شَيءٍ.

كما قال تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ [السجدة: 7].

وقال عزَّ وجلَّ: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ [الملك: 3].

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.

أي: إنَّ اللهَ يعلَمُ ما تَفعلونَه مِن خيرٍ وشرٍّ، وسيُجازيكم على جَميعِ أعمالِكم؛ فلْتَحذَروا مُخالَفةَ أمرِه.

سورةُ النَّملِ

الآيات (89–93)

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (90) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ
اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92)
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)

غَريبُ الكَلِماتِ:

فَكُبَّتْ: أي: أُلقِيَتْ وطُرِحَتْ، والكبُّ: إسقاطُ الشَّيءِ على وجْهِه، وأصلُ (كَبَبَ): يدُلُّ على جَمعٍ وتَجمُّعٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89).

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا.

أي: مَن جاء يومَ القيامةِ بالحَسَنةِ[86] فله ثَوابٌ عظيمٌ عندَ اللهِ.

---

(86) والمرادُ بالحَسَنةِ هنا: الحَسَنةُ الكامِلةُ، وهي الإيمانُ والتَّوحيدُ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والواحدي، والبقاعي.

وحكى القرطبيُّ الإجماعَ عليه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (139/18)، ((الوسيط)) للواحدي (387/3)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (225/14).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلَفِ: عبدُ الله بن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة، وعلي ابن الحسين، وسعيد بن جُبَير، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو صالح، ومحمد بن كعب، والنَّخَعي، والضَّحَّاك، والزُّهْريُّ، وعِكْرِمةُ، وزيد بن أسلَمَ، وقَتادةُ، وإبراهيم.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (141/18)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2934/9).

قال القرطبي: (هو إجماعٌ مِن أهل التَّأويلِ في أنَّ الحَسَنةَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ السَّيِّئةَ: الشِّركُ، في هذه الآيةِ).

((تفسير القرطبي)) (245/13).

قال ابنُ تيميَّةَ معلِّلًا هذا القولَ، وأنَّهم إنَّما (قالوه؛ لأنَّ أعمالَ البِرِّ داخلةٌ في التَّوحيدِ؛ فإنَّ عبادةَ اللهِ بما أمَر به كما قال: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ الآيةَ [البقرة: 112] .

وقال تعالَى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ الآيةَ [إبراهيم: 24] .

فالكلمةُ الطَّيِّبةُ التَّوحيدُ، وهي كالشَّجرةِ، والأعمالُ ثمارُها في كلِّ وقتٍ، وكذلك السَّيِّئةُ هي العملُ لغيرِ اللهِ، وهذا هو الشِّركُ؛ فإنَّ الإنسانَ حارِثٌ همَّامٌ، لا بُدَّ له مِنْ عملٍ، ولا بُدَّ له مِن مقصودٍ يعملُ لأجلِه.

وإنْ عَمِل للهِ ولغيرِه فهو شركٌ.

والذُّنوبُ مِنَ الشِّركِ؛ فإنَّها طاعةٌ للشَّيْطانِ).

((مجموع الفتاوى)) (440/15).

وقيل: المرادُ بالحَسَنةِ هنا: جِنسُ الحَسَناتِ، فأيُّ حَسنةٍ مِن الحسناتِ فهي مرادةٌ في الآيةِ.

وممَّن قال بذلك: ابن عثيمين.

وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ.

أي: وهم آمِنونَ يومَ القيامةِ مِن الفَزَعِ الحاصِلِ للخَلقِ.

كما قال تعالى: لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ [الأنبياء: 103].

وقال سُبحانه: إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ [سبأ: 37].

وقال عزَّ وجلَّ: أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ [فصلت: 40].

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.

أي: ومَن جاء يومَ القيامةِ بالسَّيِّئةِ[87] فيُلْقَوْنَ في النَّارِ على وُجوهِهم.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 505).

ويُنظر أيضًا: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (6/145، 146).

(87) المرادُ بالسيِّئةِ هنا: الشِّركُ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والواحدي، والبقاعي، وحكى القرطبيُّ الإجماعَ عليه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/139)، ((الوجيز)) (ص: 811)، ((نظم الدرر)) (14/226)، ((تفسير القرطبي)) (13/245).

وممَّن قال بهذا القولِ مِنَ السَّلفِ: أبو هريرة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو وائل، وعطاء، والحسن، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد، وعِكْرِمة، والنَّخعي، وأبو صالح، والزُّهْري، وزيد بن أَسْلَمَ، ومحمد بن كعب القُرَظي، والسُّدِّيُّ، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن زيد.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/140)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (9/2935).

وقيل: المرادُ: جِنسُ السِّيئاتِ عُمومًا، فتشمَلُ أيَّ عَمَلٍ سَيِّئٍ.

وممَّن قال بذلك: السعدي، وابن عثيمين.

كما قال تعالى: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [الإسراء: 97].

هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

أي: يُقالُ لهم: لا تُجازَونَ إلَّا بحَسَبِ أعمالِكم الَّتي كنتم تعملونَها في الدُّنيا.

كما قال تعالى: فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [يس: 54].

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91).

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لِقَومِك مِن قُرَيشٍ: إنَّما أمرَني اللهُ أن أعبُدَ رَبَّ هذه البلدةِ -مكَّةَ- الذي جعَلَها حَرَمًا آمِنًا؛ حرَّم فيها على خَلقِه أن يَسفِكوا دمًا حرامًا، أو يَظلِموا أحدًا، أو يَصيدوا فيها، أو يَقطَعوا شَجَرَها.

كما قال تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ [الزمر: 11، 12].

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 611)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة النمل)) (ص: 512).

وقال عزَّ وجلَّ: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [قريش: 3، 4].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((قال النبيُّ - ﷺ - يومَ افتتحَ مَكَّةَ: لا هِجرةَ، ولكِنْ جِهادٌ ونيَّةٌ، وإذا استُنفِرتُم فانفِروا[88]؛ فإنَّ هذا بلدٌ حرَّمَ اللهُ يومَ خَلَقَ السَّمَواتِ والأرضَ، وهو حرامٌ بحُرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ، وإنَّه لم يَحِلَّ القِتالُ فيه لأحدٍ قَبْلي، ولم يَحِلَّ لي إلَّا ساعةً مِن نَهارٍ؛ فهو حرامٌ بحُرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ: لا يُعضَدُ شَوكُه،[89] ولا يُنفَّرُ صَيدُه، ولا يَلتَقِطُ لُقَطَتَه إلَّا مَن عَرَّفَها، ولا يُختَلى خَلَاها، قال العبَّاسُ: يا رسولَ اللهِ، إلَّا الإذخِرَ؛ فإنَّه لِقَينِهم[90] ولِبُيوتِهم، قال: إلَّا الإذخِرَ)).[91]

وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

أي: ولله- رَبِّ مَكَّةَ- الأشياءُ كُلُّها خَلقًا ومِلكًا وتصرفًا.

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

---

(88) إذا استُنفِرتُم فانفِروا: أي: إذا طُلِبَ منكم النُّصرةُ، فأجيبوا وانفِروا خارجينَ إلى الإعانةِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (5/92).
(89) لا يُعضَدُ شَوكُه: أي: لا يُقطَعُ.
يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (3/304).
(90) قَيْنِهم: هو الحدَّاد والصَّائغُ، ومعناه: يحتاجُ إليه القَيْنُ في وَقودِ النَّارِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (9/127).
(91) رواه البخاري (1834) واللفظ له، ومسلم (1353).

أي: وأمَرَنِي اللهُ أن أكونَ مِن المُستسلِمينَ له بالتَّوحيدِ، المنقادينَ له بامتِثالِ أوامِرِه واجتِنابِ نواهيه.

كما قال تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام: 14].

وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92).

أي: وأمَرَنِي اللهُ أن أقرأَ القرآنَ وأتَّبِعَ ما فيه.

كما قال تعالى: وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا [الكهف: 27].

وقال سُبحانَه: وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [الأحزاب: 2].

وقال جلَّ جلالُه: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [المزمل: 4].

فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ.

أي: فمَنْ آمَنَ بالقُرآنِ وعَمِلَ به واتَّبَع الحَقَّ الَّذي فيه، فإنَّما ثوابُ ذلك ونَفْعُه يعودُ إليه.

كما قال تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ [يونس: 108].

وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ.

أي: ومَن كفَرَ بالقُرآنِ وأعرَضَ عن العمَلِ بما فيه، فقُلْ له: إنَّما أنا مِن الرُّسُلِ المخوِّفِينَ عذابَ اللهِ وسَخطَه وعواقِبَ ضَلالِكم؛ فليس علَيَّ إلَّا البلاغُ المُبينُ، وقد أبلَغْتُكم وخوَّفتُكم، وهدايتُكم ليسَت بيدي، ولا وَبالُ ضَلالِكم علَيَّ.

كما قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [الأنعام: 104].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [يونس: 108].

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93).

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا.

أي: وقُلْ –يا محمَّدُ–: المتَّصِفُ بالكَمالِ هو اللهُ تعالى الذي أنعَمَ علينا وهدانا، وبيَّن آياتِه وأقام الحُجَّةَ على عبادِه، سيُرِيكم في الدُّنيا آياتِ عذابِه ودلائِلَ وحدانيَّتِه وقُدرتِه، فيتبيَّنُ لكم صِدقُ ما أخبَرَكم اللهُ به، وصِدقُ ما دَعوتُكم إليه وتوعَّدتُكم به.

كما قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: 53].

وقال سُبحانَه: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم: 41].

وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.

أي: وما ربُّك بغافلٍ عمَّا تعملونَه، بل هو شَهيدٌ على كلِّ أعمالِكم، وسيُجازيكم عليها، ولا يَحزُنْك –يا محمَّدُ– تكذيبُهم لك؛ فإنِّي لهم بالمِرْصادِ، ولك الغَلَبةُ والنَّصرُ، ولهم الذُّلُّ والخِزْيُ.

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

في قَولِه تعالى تَعْمَلُونَ قراءتانِ:

1- قِراءةُ تَعْمَلُونَ على الخِطابِ. قيل: المعنى: عمَّا تعمَلُه أنت وأتْباعُك -يا محمَّدُ- مِن الطَّاعةِ، وما يَعمَلُه أولئك المُشرِكون مِن المعصيةِ.[92]

2- قِراءةُ يَعْمَلُونَ أي: ما يَعمَلُه أولئك المُشرِكون المكَذِّبون.[93]

---

(92) قرأ بها نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (263/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 541)، ((تفسير ابن جرير)) (148/18)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (231/14).

(93) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (263/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 541).

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الثَّاني والعشرونَ

ويَليه المجلَّدُ الثَّالثُ والعشرونَ، وأوَّله: تفسير سُورة القَصصِ

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المُغْنِي في التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا